

النيل عبدالقادر أبو قرون

إتهامات المفسرين لأفضل المرسلين

## مفتتح

الحمد لله العظيم القدوس الكبير المتعال، الذي بيده ملكوت كل شيء، المرید الفعّال، الذي انزل علي افضل رسله وخاتم انبيائه كتابه المجيد الذي قال فيه جل شأنه ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾<sup>1</sup>. وهو شديد المحال.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تكون بها من السعداء، مع الأحاباب يوم العرض واللقاء. وبجلالك يا قدوس صل وبارك علي حبيبك، خير خلقك علي الإطلاق، من اصطفيته و أحببته ومدحته بعظيم الأخلاق، بشهادة منك لا أعلي منها، بخطاب مباشر ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>2</sup>. وبعثته ليتم صالح الأخلاق، التي هو صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله تجسيد لها، وخصصته بالرسالة الخاتمة تشريفاً لا تكليفاً، حتى قلت له ﴿... لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ...﴾<sup>3</sup> كما جاء في محكم تنزيلك وأكدت ذلك بشريف عاطر وحيك ﴿طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾<sup>4</sup>. فلم تكن الرسالة إلا البلاغ. إذ لو كان هناك تكليف إضافة علي البلاغ لكان عناء، ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾<sup>5</sup>. وكنت أنت وكيلا عنه فيها تهدي من تشاء، فلم تكلفه حتى عناء الهداية إذ أوحيت إليه ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ...﴾<sup>6</sup> وبيّنت في محكم قولك له ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا ۗ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۗ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾<sup>7</sup> وقلت له ﴿... فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾<sup>8</sup> كي لا يُشقي نفسه بغير البلاغ وأوضحت له بصريح قولك ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...﴾<sup>9</sup> رغم أنك جعلت رميه رميك ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ...﴾<sup>10</sup> وبيعته ببيعتك ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ

1 سورة الأنعام: 38

2 سورة القلم: 4

3 سورة طه: 130

4 سورة طه: 1-2

5 سورة المائدة: 99

6 سورة الشورى: 48

7 سورة الأنعام: 107

8 سورة فاطر: 8

9 سورة البقرة: 272

10 سورة الأنفال: 17

الله...﴾ 11 وطاعته طاعتك ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ...﴾ 12. وليس هناك حب ولطف أكثر من أن تجعل فعله فعلك ثم تتولى هداية الخلق ولا تجعل له من الأمر شيئاً غير البلاغ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ 13. وقيل أن منتهى مقام الحب هو الفناء في المحبوب فيكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ورجله التي يسعى بها وهو قمة غاية العارفين وقد قال فيه البسطامي طيفور رضي الله عنه "سبحاني ما أعظم شأنني". أما إذا كان في هذا المقام شهادة من الله سبحانه للعبد فهي غاية الغايات ولم تكن إلا لمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فقد شهد الله سبحانه له بقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ...﴾. ورغم ذلك لم يقل "سبحاني ما أعظم شأنني" لوسعه.

وليس هناك ما هو أقوى من الحق لذلك قام الحق بالحق. فإن الحق لا يحتاج الي من يدعمه، لأنّ المدعوم ضعيف لحاجته للدعم. فقامت الدعوة بالله الحق لا اعتماداً علي مال ولا رجال ولا سلطان ليكره الناس عليها. فانجذب الناس إليها لأفضليتها لأنّ الأفضل جاذب بطبعه، ولا يكره عليه أحد فإنّ الذي يكره عليه الناس مكروه مستقبح. وصدرت الرسالة بلاغاً، من أفضل الخلق كمالاً في الخلق والخلق والعلم. فليس لأحد فضل، ولا شكر لأحد في الانتماء للإسلام ونشره، إنما الفضل للإسلام الذي به يُعرف الرجال فالفضل للإسلام وليس لهم. ﴿... قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ...﴾ 14 فعرف أهل القلوب أنّ معرفة النبي بكماله وأنّه حق مع محبة الله له، هي الاساس لمعرفة رسالة الإسلام. وأنّ الله سبحانه وتعالى أرسل بها محمداً صلي الله وبارك عليه وعلي والديه واله تشريفاً لا تكليفاً، لأنه حبيبه وصاحبه في سفره وخليفته في أهله "اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل" 15. فلم يبعثه بما يشقيه ﴿طه﴾ \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ 16 بل بما يرضيه، بأفضل رسالة خاتمة، قال تعالى ﴿... وَمِنْ أَنْاءِ اللَّيْلِ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ 17. ونظروا إلي قوله تعالى ﴿... فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا \* رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ...﴾ 18 وتيقنوا من أنّ الرسول

11 سورة الفتح: 10

12 سورة النساء: 80

13 سورة آل عمران: 128

14 سورة الحجرات: 17

15 مسلم

16 سورة طه: 1-2

17 سورة طه: 130

18 سورة الطلاق: 10-11

صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يؤمن للمؤمنين كما قال تعالى ﴿... قُلْ أَذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ...﴾<sup>19</sup> وفتحت بصائرهم على الإيمان بمحمد لقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ...﴾<sup>20</sup> وتدبروا قوله تعالى ﴿... ذِكْرًا \* رَسُولًا...﴾ ثم قرأوا ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾<sup>21</sup> والإيمان بمحمد ليس هو العلم فقط بأنه حق، إنما هو الإيمان بل اليقين بأنه حق. لذلك كان الأجر له استحقاقاً لا امتناناً لقوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾<sup>22</sup> فلم تكن عبادته إلا شكراً لقوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "أفلا أكون عبداً شكوراً"<sup>23</sup> لأن الرسول لا يعطى الأجر على عمل يعمله وذلك لعصمته. وقد يُعطي الله سبحانه لمن سماهم النبي إخوانه أجراً غير ممنون كذلك لعلو رتبته ومقامهم وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾<sup>24</sup> ولا تعني عصمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أنه لا يخطئ فالذي لا يخطئ هو الذي يتبع طريقاً فإن اتبع الطريق بحذاقيره فذلك الذي يقال له معصوم لا يخطئ. أما محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فهو الذي يخط الطريق الذي يتبعه من يخطئ أو لا يخطئ لذلك لا يجوز الحكم على النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في فعله أو قوله ممن هم دونه من الخلق ولا يجوز مقارنة فعله بفعل غيره لعدم المناسبة. فعصمته تعني فعله ﴿...إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ فأحباب النبي هم إخوانه الذين قال عنهم "وددت أنا قد رأينا إخواننا..."<sup>25</sup> لأنهم ينظرون بنور الله. وكان منهم في زمنه علي عليه السلام حيث قال له صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "أنت أخي في الدنيا والآخرة"<sup>26</sup> فنظروا إلى من يُخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور، الذي يؤمن للمؤمنين فكان محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ببلاغه المبين وخلقته العظيم؛ فامتلات قلوبهم بمحبته، ليكونوا ممن اوتوا كفلين من الرحمة، ويكونوا من أهل النور، ومن الذين يصلي عليهم رسول الله ﴿... وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ...﴾<sup>27</sup>.

ومن علم أن الله سبحانه يحب رسوله محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولم يقع حب محمد في قلبه فليعلم أنه بعيد كل البعد عن الإيمان، وأنه من أولئك الذين قالوا

19 سورة التوبة: 61

20 سورة الحديد: 27

21 سورة الفتح: 13

22 سورة القلم: 3

23 مسلم

24 سورة فصلت: 8

25 مسلم

26 الترمذي

27 سورة التوبة: 103

أما ولم يدخل الإيمان في قلوبهم. وليراجع نفسه، ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>28</sup> وليعلم أن الحب إحساس يختلج في القلب ولا يفارق العقل فالمحبون هم من فاضت أعينهم من الدمع ولازمها السهاد فوصفهم البارئ سبحانه مادحاً إياهم بقوله ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ النَّبِيلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾<sup>29</sup>. قال أحد الشعراء:

جهد الصباية أن تكون كما أرى      عين مسهدةً وقلب يخفق

فالحب مانع عن رؤية خطأ عند المحبوب ومحال أن يكون المحب ناقداً لحبيبه بل الحب يوجب مدح المحبوب في شخصه وخلقه وأخلاقه وأفعاله وقد مدح الله سبحانه محمداً قائلاً ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ فمن كره المدح كره المادح وكره الممدوح وقد قيل:

إنّ المحب وإن ذابت حشاشته      يهوى الحبيب ويهوى كل ما فعلا

وقيل:

وعين الرضا عن كل عيب كليله      ولكن عين السخط تبدي المساوي

فالطاعة والاتباع هي من تبعات الحب وليست هي الحب كما ظن من جهل وفسر الحب بذلك. فالحب يعمي ويصم كما جاء في الحديث.

فمن نظر إلى أن الله سبحانه أرسل محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بغير هذه النظرة المحبوبة فقد تنكب طريق الحق. و كل تفسير لكلام الله جل شأنه بعيداً عن حب الله لرسوله وبعثه له بما يرضيه، فهو فهم خاطئ لكلام الله سبحانه. فكلام الله لا يمكن أن يُحصَر تفسيره في رأي أحد الناس، ويقال عنه هذا هو تفسير للقرآن. ومن ظن أنه يفسر كلام الله فقد جهل. لأن كلام الله لا حدود لمعناه ولا يحصيه قول مفسر. وهو للتدبر، قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>30</sup> لذلك نجد كل من ادّعى تفسير القرآن خاصة من لم تكن لديه هذه النظرة للمحبوبة بين الله ورسوله وقع في خطأ جسيم نرجو أن تدرکه الشفاعة. فنجده يقول في من أحبه الله وصلي عليه ومدحه مخاطباً إياه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>31</sup> يقول فيه هو الذي عبس في وجه أعمي لا يبصر!!! وإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ!!

28 سورة التوبة: 24

29 سورة الذاريات: 17

30 سورة محمد: 24

31 سورة القلم: 4

والأدهى أنهم يبررون تفسيرهم المنحرف هذا بقولهم "يقول الرسول في نفسه حتي لا يقول الناس إن أتباعه من العميان وسفلة القوم"<sup>32</sup> فاتَّهَموا النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بسوء الخلق بالعبوس في وجه الأعمى بادعائهم علم غيب في نفس رسول الله والذي لا يعلمه إلا الله والنبي!!! ومن يدّعي علم ما في نفس النبي فقد ادّعى الربوبية!! أنظر إلى شناعة قولهم "يقول الرسول في نفسه"!!! ومن يدّعي علم ما في قلوب الناس، ناهيك عما في نفس النبي، هل ترك من الفرعونية شيئاً؟ وقولهم هذا لا علاقة له بالنص القرآني!! ويسمونه تفسيراً للقرآن!!!

لأجل هذا رأيت مراجعة ما جاء من ادعاء في تفسير الآيات التي جاءت في حق الذات الشريفة المحمدية على اعتقادي ويقيني أنّ الرسول حق وعلي الله قصد السبيل وهو المستعان وعليه التكلان.

---

<sup>32</sup> الطبري

## مقدمة

### لماذا كانت الرسالات؟

جميع رسل الله صلوات الله عليهم بعثوا من الله لأممهم بالدين، أي بالإسلام لأن الدين عند الله الإسلام كما قال تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ...﴾<sup>33</sup> وقال تعالى ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ...﴾<sup>34</sup> وهو ما جاء به جميع المرسلين. فكان الإيمان بالرسول وما جاءوا به وكتبهم أصلاً في الرسالة الخاتمة؛ لأنه لا اختلاف فيما جاءوا به من عند الله، موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم، ﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾<sup>35</sup> وما يرى عند الناس من اختلاف فيما جاء به موسى وعيسى وكل رسل الله صلوات الله عليهم إنما هو من فهم أتباع الرسول لما جاءت به الرسل، عن سوء فهم، أو بقصد السيادة على الناس به، أو تحويله لنظام سياسي. ولهذا تأتي رسالة بعد رسالة لتوضيح المسار الديني من الله لعباده لإسعادهم، وليس لترصد أخطائهم للحساب والعقاب!! قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>36</sup>. فلم تأت رسالة لتلغي ما قبلها؛ بل لتبين الحق الذي جاءت به تلك الرسالة، وتصلح ما حرّفه البشر منها. وتعالى الله سبحانه أن يرسل رسولاً برسالة خاطئة ليلغيها بما تليها ليصح خطأه، سبحانه وتعالى عما يصفون. فما جاءت به الرسل حق يجب الإيمان به وإنكار ما حرّفه البشر منه بإضافة أو حذف أو تفسير أو تسلط على العباد. ولا اختلاف في أصل الرسالة من كل الرسل. وهي حق من الله لسعادة عباده بخلق المجتمعات الفاضلة عن طريق رسله الكرام صلوات الله عليهم. قال تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ...﴾<sup>37</sup> لا للتسلط على العباد. ﴿... لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ...﴾ والذين يرون غير ذلك ﴿... وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا...﴾<sup>38</sup>.

33 سورة آل عمران: 19

34 سورة آل عمران: 85

35 سورة البقرة: 285

36 سورة الحديد: 9

37 سورة الأنعام: 48

38 سورة النساء: 150-151

وجاءت البعثة الخاتمة لإزالة ما بدر من الناس من اختلاف في فهم الرسالة عند الرسل السابقين، وتبيين الدين الذي أنزله الله سبحانه لرسله السابقين لإسعاد عباده أجمعين، لأنه رحيم ودود رؤوف لطيف. فكان وجوباً أن تكون الرسالة الخاتمة شاملة مهيمنة واضحة لما سبقها. قال تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾<sup>39</sup> فهي ليست لاغية لما سبقها (كما فهم بعض الناس) بل مصدقة لها، قال تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ...﴾<sup>40</sup> ﴿وَمَنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ۗ وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ...﴾<sup>41</sup> فهي مهيمنة لشمولها ومبينة أي شارحة ومصدقة لها لأن الدين واحد وهو الإسلام. قال تعالى في إشارة إلى التوراة ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۗ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا...﴾<sup>42</sup> وهذا يبين أن الأنبياء من آدم عليه السلام جميعهم مسلمون، إلا أن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو أول المسلمين لأنه كان نبياً يصلي عليه الله وملائكته، وآدم منجدل في طينته. فصلاة الله عليه لم يبدأها الله في سنة 611م فهي ليست حادثة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* لَا شَرِيكَ لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>43</sup> فهو أول الأنبياء وخاتمهم. وإذا كان موسى مسلماً فأتباعه مسلمون وإذا كان عيسى مسلماً فأتباعه مسلمون وهذه وحدة الرسالة. لذلك نجد أن الله سبحانه خاطب قوم كل رسول بنعت خاص بهم في القرآن. فخاطب قوم موسى وعيسى صلوات الله عليهم وهم الذين هادوا والنصارى بأهل الكتاب. وخاطب قوم محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالذين آمنوا. فقال تعالى "يا أهل الكتاب" لقوم موسى وعيسى صلوات الله عليهم وقال تعالى "يا أيها الذين آمنوا" لقوم محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، فتتبعين بذلك الأمة المخاطبة. أما لو كان الخطاب بقوله: يا أيها المسلمون لما عرفت من هي الأمة المخاطبة لأن من تبع موسى عليه السلام فهو مسلم ومن تبع عيسى عليه السلام فهو مسلم. وقال تعالى في حق من تبع عيسى عليه السلام ﴿... وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ...﴾<sup>44</sup> وليس إلى بعثة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لتبيين أنهم مسلمون وليسوا كفاراً كما يظن من لا علم له. فتعالى الله أن يغير دينه من رسول أرسله إلى رسول بعده، فلا إلغاء لما سبق من الرسالات، بل إيمان بها وبرسلها وتقديسهم، واحترام من تبع أولئك الرسل دون تبديل أو تحريف. وقد بين الله سبحانه التحريف الذي

39 سورة النحل: 64

40 سورة المائدة: 48

41 سورة الأحقاف: 12

42 سورة المائدة: 44

43 سورة الأنعام: 162-163

44 سورة آل عمران: 55



قامت به الأمم من أهل الكتاب ومن الذين آمنوا، قال تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ...﴾<sup>45</sup> ثم من بعدهم ﴿... كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ...﴾<sup>46</sup>. وهم بعض من الذين آمنوا.

وبما أنّ محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كانت رسالته خاتمة لما سبق فكان لا بد من أن تمتاز بأشياء، لضرورة الحاجة إليها. فقال تعالى ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ...﴾<sup>47</sup>. وبالتدقيق والبحث عن لماذا بُعث محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله - وهذا سؤال يجب على كل مسلم الوقوف عنده والتدبر فيه- فإنك لا تجد تبيانياً أكثر مما ذكره هو صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حيث قال "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق"<sup>48</sup> وهذا يعني أنّ الرسل السابقين عليهم السلام كانت رسالتهم واحدة وهي لإقامة مجتمع يتوفر فيه صالح الأخلاق، لأنّ الأخلاق من الثوابت، فإذا توفرت في المجتمع ساد فيه السلام وحصلت السعادة المرجوة، فكانت الرسالة الخاتمة لتتم ذلك. ولأنّ الأخلاق هي محور الدين قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "أفريكم مني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً"<sup>49</sup> وقال "إنّ المرء ليلبغ بحسن الخلق مرتبة الصائم القائم"<sup>50</sup>. وبما أنّ البعثة الخاتمة يجب أن تكون تبيانياً لما سبق وأكثر وضوحاً كان لا بد من توضيح هذا الدين الذي هو الأخلاق بمثال حسي؛ حتى يعرفه، بل ويراه بعيني رأسه، من عجز عقله عن استيعابه. فجاء التوضيح الإلهي ليبين للناس أنّ شمول الأخلاق وكمالها وعظمتها في من أرسله خاتماً لأنبيائه، فمدحه بها، ليعرف الناس، بل ليرى الناس الحق والأخلاق العظيمة مجسدة مرئية في الذات الشريفة المحمدية لأن الحق لا يرى مجرداً عن المادة! ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾<sup>51</sup>! فمحمد رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو حق وهو الدين وهو الأخلاق العظيمة. قال تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>52</sup>. فلم يفرض محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الدين على الناس. حتى حينما فتح مكة لم يفرض الدين عليهم ولم يأمرهم أن يقولوا لا إله إلا الله، فينتفي ما يقال إنّه حديث "امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"<sup>53</sup> وإلا يكون الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مخالفاً لما أمر به وهذا غير وارد لقوله تعالى ﴿... إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾

45 سورة البقرة: 113

46 سورة البقرة: 113

47 سورة النحل: 64

48 مسند أحمد

49 الترمذي

50 مسند أحمد

51 سورة آل عمران: 86

52 سورة القلم: 4

53 البخاري

﴿54﴾ فما انجذب إليه الناس إلا لحسنه وطلاوته وما يحمله من محبة وسعادة ف ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾ 55 كما قال تعالى. وبعد تبيين الدين وتجسيده في الذات الشريفة المحمدية أصبح الأمر واضحاً للناس معرفة ورؤية، فما عليهم إلا أن يختاروا فقال جل شأنه ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾ 56. والحق هنا يمثل محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. قال تعالى ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ 57. وقال تعالى ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ...﴾ 58 ولا يسع الحق غير الحق فوسع محمد ما نزل إليه من ربه، ولم يسع الخلق كل ما نزل على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فأخذ كل منهم قدر وسعه ﴿... قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾ 59 فظهرت المذاهب عند الخلق والتباين في الفهوم. فمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو محور الدين لذا وجب الإيمان به. جاء في الحديث "الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله..." فبالإيمان بمحمد يصير المرء مؤمناً وليس قبل ذلك ولا يكفيه أن آمن بالله وملائكته. لأن الله سبحانه أمر بذلك في محكم كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ...﴾ 60. فالخطاب هنا للذين آمنوا! قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ 61 وقال تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾ 62 وقال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ \* تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ 63 فكل امرئ من الذين آمنوا هو مسلم ومخاطب في هذه الآيات للإيمان بالرسول. ولقد عجبت لمن أفتى بمنع تداول كتابي "الإيمان بمحمد" من أجل العنوان! ولا يكون المرء من المؤمنين إلا إذا آمن بأن الرسول حق، ولا يكفيه أن يؤمن بما جاء به الرسول وطاعته واتباعه! وهناك فرق بين الذين آمنوا والمؤمنين كما هو واضح في الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ 64. فالإيمان بما جاء به الرسول وطاعته واتباعه يجعل المرء مسلماً يقوم بأداء أركان الإسلام من صلاة وصيام وزكاة وحج. وهذا الاتباع والطاعة يحفظ له عمله الصالح ﴿... وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 65. ولكن

54 سورة الأنعام: 50

55 سورة البقرة: 256

56 سورة الكهف: 29

57 سورة آل عمران: 86

58 سورة الإسراء: 105

59 سورة البقرة: 60

60 سورة الحديد: 28

61 سورة النساء: 136

62 سورة النور: 62

63 سورة ص: 10-11

64 سورة آل عمران: 102

65 سورة الحجرات: 14

الأعمال تُعرض على الميزان ومهما تكن من جمال فهي بين الرد والقبول. أما الإيمان بالرسول هو ما بعد الطاعة والاتباع، لأنّ الاتباع والطاعة أفعال، والإيمان بأنّ الرسول حق محلّه القلب، والقلب هو الذي عليه المدار فلا نجاة "يوم يقوم الناس لرب العالمين" "إلا من أتى الله بقلب سليم". فالقلب هو الذي يسع إله المعتقدات " ... ولكن وسعني قلب المؤمن" <sup>66</sup> فالإيمان بالرسول هو الذي يرتقي بالمرء من الإسلام إلى الإيمان الذي هو حب النبي. ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا...﴾ <sup>67</sup>. وقال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين" <sup>68</sup>. وإني لأعجب لمن ينكر أنّ الرسول حق ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ على الرغم من قول الله تعالى هذا، وفي نفس الوقت يؤمن بمقولة البسطامي رضي الله عنه "سبحاني ما أعظم شأنني"!!! وليست الشجرة في البقعة المباركة، ولا النار التي نوذي منها موسى عليه السلام بأفضل من محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فإنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى﴾ <sup>69</sup>.

كان الناس قبل بعثة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مشركين، أي كانت لهم آلهة متعددة اللات والعزى ومناة وغيرها... وكانوا يقولون عنها لتقربهم إلى الله زلفى، وهذا يعني أنّهم كانوا يعلمون أنّ الله أكبر من آلهتهم وأصنامهم تلك. فالمشركون بهذا المعنى مؤمنون بأنّ الله أكبر من آلهتهم المخلوقة التي يتقربون بها إليه، ولكن لغف قلوبهم، واضمحلال عقولهم، وقصور نظرهم، وانكماش أفكارهم، وضيق أفقهم، كانت الحياة الدنيا والتنافس فيها مبتغاهم. فاتخذ كل منهم إلهاً ليكون رمزاً لهم يحاربون به، وتحت لوائه يتعاملون. فبيّن لهم رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالبلاغ المبين أنّ هذه الأصنام لا تضر ولا تنفع وأنّ الله أكبر وهو الذي له مقاليد السموات والأرض. واقتنع أصحاب الأصنام وأطاعوه وتركوا أصنامهم وأسلموا لما بلّغهم به بأنّ الله واحد ولا معنى لتلك الأصنام. فزال عنهم الشرك وآمنوا بالله وحده وتركوا أصنامهم التي كانوا يعتقدون فيها أنّها تقربهم إلى الله زلفى وأصبحوا مسلمين. قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "لا أخشى عليكم الشرك من بعدي ولكن أخشى أن تعودوا كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض" <sup>70</sup> فانفتحت عقولهم، واتسعت معارفهم، وتجددت فهمهم، وتغيرت نظرتهم للحياة. وبما أنّهم تركوا الأصنام وعبدوا الله وحده ظنوا أنّ ذلك هو الإيمان -كما

66 رواه أحمد

67 سورة الحجرات: 15

68 البخاري ومسلم

69 سورة النجم: 3

70 مسلم

يظن الكثيرون من أدعياء التوحيد اليوم- وقالوا آمنا، ولكن ليس ذلك كذلك فالإيمان لا يتم إلا بعد الإيمان بأن محمداً حق فيكتمل الحب. أما الطاعة والاتباع فهي الإسلام وهي أفعال قال تعالى ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا...﴾ 71 وذلك بعد أن تركوا الأصنام وأسلموا لله بما جاء به محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأطاعوه واتبعوه فيما جاء به من صلاة وزكاة وصيام وحج فيقول الله سبحانه وتعالى لهم ﴿... قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ...﴾ 72 ولكن لا يعني ذلك إبطال الأعمال ﴿... وَإِنْ تَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ 73. وطاعة الرسول هي الإيمان بما جاء به الرسول، واتباعه في ما جاء به. وهي الإسلام. ولكنها ليست هي الإيمان بالرسول أنه حق! ولا يكون أحد من الذين آمنوا (وهم المسلمون) من المؤمنين إلا إذا آمن بأن الرسول حق. ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ 74. ويوضح الله سبحانه لهم من هم المؤمنون في قوله ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ 75 فالإيمان الذي يجعل الذين آمنوا مؤمنين لا يكون بالله دون رسوله. ﴿... آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ 76 فالصادقون هم أصحاب المقام الأسنى الذين يرتجي المتقون رفقتهم للأمان قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ 77. فالمؤمنون هم الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا بأن الرسول حق كما قال تعالى ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ 78 يصلي عليه الله وملائكته فكانت الرسالة من الله تشرifaً لا تكليفاً ﴿طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ 79 ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ 80 ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا...﴾ 81 ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِيَّ﴾ 82 ﴿... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾ 83 ولكن بما أن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿... بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ 84 قال له تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ 85 ليشفع لأهل الكبائر من

71 سورة الحجرات: 14

72 سورة الحجرات: 14

73 سورة الحجرات: 14

74 سورة يوسف: 106

75 سورة الحجرات: 15

76 سورة الحجرات: 15

77 سورة التوبة: 119

78 سورة آل عمران: 86

79 سورة طه: 1-2

80 سورة الكهف: 6

81 سورة الشورى: 48

82 سورة عبس: 7

83 سورة فاطر: 8

84 سورة التوبة: 128

85 سورة الضحى: 5

أمتة فالله سبحانه يُرسل حبيبه ويبعثه بما يرضيه لا بما يشقيه ﴿... وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافِ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾<sup>86</sup>. والرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنه رؤوف رحيم آخر دعوته المستجابة ليوم القيامة ليشفع للناس جميعاً حتى من عصى وكفر ليقدّموا للحساب ثم يشفع شفاعته الخاصة لأحبابه الذين لزموا الأدب في حقه ولم يخالفوه ولم يعصوه ولم يسيئوا إلى والديه وعترته. قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "كل نبي له دعوة مستجابة دعى بها على قومه إلا أنا فادخرت دعوتي ليوم القيامة"<sup>87</sup>.

ولهذا كان العلم اللدني والحنان اللدني الإلهي نحو النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يرى في كل آية من كتابه ﴿... لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَدَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾<sup>88</sup> ولكن من به رمد لا يبصر سماحة الضوء، وقد يؤذيه فلا يشكره بل يتأذى من ظهوره وربما يكرهه ويبغض من يمدحه. ومن كره المدح كره المادح وكره الممدوح. ومحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله نور، قال تعالى ﴿... قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾<sup>89</sup> فهو نور لأنه حق كما قال تعالى ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾<sup>90</sup>. فكيف لا يسعد المسلمون بمولده؟ وهل من يحبه يمنع الفرح بمولده كما يفعل بعض أدعياء العلم؟ فعلى الرغم من أنّ الفرح الذي هو إظهار السرور من المكروهات عند الله سبحانه وتعالى لقوله ﴿... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾<sup>91</sup> إلا أنه حبذ الفرح بمحمد للمسلمين في قوله تعالى ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾<sup>92</sup> فاستثنى سبحانه الفرح بالرحمة التي هي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. أما السرور فليس مكروهاً بل إنّ إدخال السرور على المؤمن باب من أبواب الجنة. إنما الكراهة في إظهاره بالإعلان والصخب والضجيج وهو الفرح.

والسؤال الذي يجب أن يقف عنده كل من له اهتمام بالدين هو لماذا أرسل الله الرسل لعباده؟ وهل هناك إجابة غير أنه تعالى يريد السعادة لهم؟ أم أنه كما يرى أصحاب العقول السقيمة والنفوس المريضة يريد تصيّد أخطائهم ليحاسبهم ويعذبهم؟ والأمر لا يحتاج إلى تبيان أكثر مما أنزله الله سبحانه الرؤوف الرحيم. قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>93</sup>. ففي الحديث

86 سورة طه: 130

87 مسلم

88 سورة الفرقان: 62

89 سورة المائدة: 15

90 سورة آل عمران: 86

91 سورة القصص: 76

92 سورة يونس: 58

93 سورة الحديد: 9

عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "انظروا إلى هذه الجارية أترون أنها ملقبة بطفلها في النار"، قالوا كلا يا رسول الله، قال "فإن الله أرأف بعباده من هذه بولدها" 94. ولذا كان يجب أن تكون الدعوة هي الحب لله قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "حببوا الناس إلى الله يحببكم الله" 95 لأن الله رؤوف بعباده وهو اللطيف الودود الرحيم الحليم.

وقد يدور سؤال لم الحساب والعقاب إذا وآيات التهديد والوعيد؟ فنقول إنه سبحانه وهو العليم بخلقه يقول في محكم تنزيله (وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) 96 فلمثل هؤلاء لا يكون التفهيم إلا بما يناسب عقولهم المنحرفة الخارجة عن السلوك الأخلاقي. فلا بد من العلاج المناسب لكل حالة. والأخلاق المحمدية العظيمة يناسبها التبشير لا الإنذار وذلك لجمال طبعها. ولكن هناك قلوب قاسية لا تستجيب لهذا الجمال فكان لابد من كسوته بالجلال وهو لباس التقوى فيقال له (قُمْ فَأَنْذِرْ) 97 ليكون بشيراً ونذيراً فيكون البلاغ شاملاً لكل النفوس. ولهذا نجد أسماء القهر والجلال الإلهي، إنما هي لإسعاد من ينحرف عن الجادة لإعادته للمقصود من الرسالة ألا وهي السعادة له ولغيره من العباد. وإذا كان الله سبحانه بالعباد جميعاً رؤوفاً رحيماً فكيف به برسله وخاصة بمن هو أولهم وخاتمهم؟ ولما كان الله سبحانه يريد السعادة لعباده برسالاته لهم، لم يجعل لرسله صلوات الله عليهم إلا البلاغ. قال تعالى (… فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ…) 98 فكانوا صلوات الله عليهم رسلاً مبشرين ومنذرين والله لطيف بعباده لهدايتهم. والرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو أعلم الناس برسالته من عند الله، ومنه عرفنا أنه يعلم أنّ المقصود بالرسالة هو إسعاد البشرية، لذا بدر منه الحرص على العباد لإسعادهم، وهو أمر لم يكلف به حتى كاد يشقى نفسه من أجل ذلك. فيجيء الخطاب لمؤانسته من الله سبحانه وتعالى (طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) 99 ثم يقول له (… فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ…) 100 (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ…) 101. وبين الله سبحانه لعباده اهتمام النبي الرؤوف الرحيم بهم ليعزروه ويوقروه ويسبحوه بكرة وأصيلاً فيقول سبحانه (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) 102 وبين

94 البخاري ومسلم  
95 الأولياء لابن أبي الدنيا  
96 سورة يوسف: 103  
97 سورة المنثر: 2  
98 سورة النحل: 35  
99 سورة طه: 1-2  
100 سورة فاطر: 8  
101 سورة القصص: 56  
102 سورة التوبة: 128

لهم أنه يصلي عليه هو وملائكته (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...)<sup>103</sup> وطالبتهم بالإيمان به (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ...)<sup>104</sup>. (وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا)<sup>105</sup> لأن المؤمنين بمحمد والمصلين عليه أيضاً يصلي عليهم سبحانه، بل يصلي عشراً على من يصلي مرة واحدة على حبيبه. والصلاة على النبي هي العمل الذي لا يُرد بينما كل بقية العبادات بين الرد والقبول.

وما كان حرص النبي على العباد رغم أنه (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ...)<sup>106</sup> إلا لأنه رحمة مهداة كما قال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله عن نفسه "إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مَهْدَاةٌ"<sup>107</sup> وكما قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)<sup>108</sup>. والرحمة هي التي كتبها الله تعالى على نفسه (وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ...)<sup>109</sup> وهي التي تسبق الغضب الإلهي فكان محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله تجسيدا لها لأنه الرحمة المكتوبة على النفس العلية ولذلك كانت له الشفاعة "رحمتي سبقت غضبي"<sup>110</sup> وهي التي وعد الله بها حبيبه الرحمة المهداة محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فتقدم محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على الأسماء الإلهية بالشفاعة (وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)<sup>111</sup> فلم يطلب قصوراً ولا مالا ولا سلطاناً عليه صلوات الله والملائكة؛ وذلك لحرصه على العالمين، ولعلمه بنوح الأكثرين الذين تحسر عليهم الله سبحانه في قوله (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)<sup>112</sup> والذين هم أكثر الناس حاجة إليه في يوم تشخص فيه الأبصار.. يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون. فذلك اليوم هو يوم محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولا أحد غيره من المرسلين. وقال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "أنا الحاشر الذي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِي"<sup>113</sup> فيطلب من ربه ليقضي بين الخلائق، وهذه هي الشفاعة الكبرى التي يدخل فيها المؤمن والكافر، ثم بعد ذلك يشفع لمن وجبت له النار من أمته ليحيله إلى الجنة، وهي الشفاعة الخاصة لأحابيه:

ولو المذل إلى جهنم ساقكم هل غير أحمد من يجير ويسعد

103 سورة الأحزاب: 56

104 سورة الحديد: 28

105 سورة الفتح: 13

106 سورة النور: 54

107 المستدرک للحاکم

108 سورة الأنبياء: 107

109 سورة الأنعام: 54

110 البخاري

111 سورة الضحى: 5

112 سورة يس: 30

113 البخاري

إنّ الذي ساقني لعمل هذا المؤلف هو ما رأيت من فداحة أخطاء في بعض التفاسير، وهي (تفاسيد) صار يتعبّد بها الناس، مبعدة لهم عن الحقيقة. فانحرفت صحة القصد عند أكثرهم وصار فهم القرآن عند بعض الناس هو هذه التفاسير كأنهم عقلوا كلام الله جل وعلا، الذي لا يحصره فهم ولا تنتهي عجائبه!! وظن كثير منهم أنّ ذلك هو التدين، بل هو الدين الذي يجب التمسك به. وصار من يحفظ الكثير من هذه التفاسير والمراجع هو الذي يدعى عند الناس عالماً. وربما صارت هذه التفاسير بما فيها من تفاسيد عند بعضهم كأنها تعني القرآن نفسه!! وصار المفسرون عند أكثر المسلمين مرجعية لهم كأنهم رسل. وبما أنّ الفهم غير مقدس فلا قداسة لهذه التفاسير ولا تلزم أحداً وأكثرها (تفاسيد). وهذا ما دعاني للنظر فيما جاء في بعضها مما يوجب النظر فيه وتوضيح الأمر. وقد أجدني أعيد بعض ما ذكرته في كتابي السابق **شفاء الذمم (1)** لأنّ هذا المؤلف يتعلق بالذات الشريفة المحمدية فيما جاء فيها في القرآن وكيف تعامل معه من يدعون تفسير القرآن! وجعلت الطبري نموذجاً.



## هل عبس وتولى؟

جاء في تفسير الطبري "أقبل ابن أم مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه قريش يدعوهم إلى الله تعالى وقد قوي طمعه في إسلامهم وكان في إسلامهم إسلام من وراءهم من قومهم فجاء ابن أم مكتوم وهو أعمى فقال يا رسول الله علّمني مما علمك الله وهو يناديه ويكثر النداء ولا يدري أنه مشتغل بغيره حتى بدت الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول هؤلاء: إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس وأعرض عنه فنزلت الآية".

قبل مناقشة ما جاء في هذه المقولة هنالك تساؤل عن من الذي رأى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يعبس في وجه الأعمى وقد بدت الكراهة على وجهه وحكى ذلك؟ هل هو الأعمى وهو لا يبصر؟ هل هم الكفار الذين كان يدعوهم النبي للإسلام وهل يؤخذ السند من كافر؟ أم هل حكى النبي بقول لقد عبست في وجه الأعمى؟

وجاء في هذه الرواية "وقد قوي طمعه في إسلامهم" وهذا أمر في نفس النبي فكيف اطلع عليه الطبري؟! بل يذهب إلى أكثر من ذلك ليقول عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "وقال في نفسه يقول هؤلاء إنما أتباعه العميان والسفلة والعبيد" فكيف يجرو عبد مسلم إلى وصف أخلاق رسول الله بهذه الصفة؟ وهي صفات اختلقها من مخيلته!! قال تعالى ﴿... وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا...﴾<sup>114</sup> وهذا ما حكاه الطبري! وهكذا يفسر القرآن؟ وفي تفسير الجلالين: عبس أي محمد كأن اسم محمد يعني عبس!!! بمعنى يمكنك أن تسمي ابنك "عبس" هذا الذي اختلقوه من قبيح ادعائهم: الاطلاع على ما في نفس النبي!! وهو الذي بنوا عليه نزول السورة وقالوا إن الله سبحانه عاتب نبيه على هذا السلوك الذي اختلقوه. وهو عندهم في أخلاقهم سلوك غير مقبول وغير إنساني. ويفهم من هذا كأن الله سبحانه أنزل هذه السورة على المفسرين أصحاب الأخلاق العظيمة لا على النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؛ ليريهم سوء تصرف رسوله الذي أرسله إليهم ليتم صالح الأخلاق وليستهزئ به، بمعنى: انظروا أيها المفسرون أصحاب الأخلاق الطيبة إلى تصرف وأخلاق هذا الرسول كيف ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى \* أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾<sup>115</sup> الذي لا يبصر

114 سورة العنكبوت: 17

115 سورة عبس: 1-2

حينما جاءه يسأله عما بعثته به وهو صالح الأخلاق!! كيف يصح عندهم ذلك وهم يقرون بأن فعل النبي سنة؟! فهل عندهم أن بعض السنن مستقبحة ولا تليق بالإنسانية؟ وكيف يصح ذلك والله يقول على لسان نبيه ﴿... إِنَّ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾<sup>116</sup>. فيفهم من تفسيرهم كأن الله سبحانه أنزل السورة عليهم ليشكوا لهم سلوك نبيه!!!

ألا يكون من اعتقد في صحة هذا الذي يقال عنه أنه تفسير قد جانب الحق وابتعد عن القرآن وفهمه ونزوله، وعن رؤية الكمال المحمدي الذي يحبه الله ويمدحه؟ أيبقى حب لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله للمعتقد في هذا الكلام؟ والإيمان ينتفي إذا انتفى حب رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لقوله "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين"<sup>117</sup>. فكم من الناس أبعدتهم هذه التفسيرات أو التفاسير عن الإيمان وحرمتهم الحب الشريف؟ بل كيف بأولئك الذين اتهموه رجماً بالغيب بأنه يقول في نفسه عن أصحابه السفلة والعبيد!! وهل يصدر مثل هذا الاتهام من محب؟ لقد فقد المسلمون حب رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله الذي هو أصل الدين -لأنه لا إيمان بدونه- بما حفظوا من أقوال الرجال وأخذوا عليها الشهادات العلمية معتقدين بأن ذلك علماً يتباهى به على المنابر. فصار العنف مظهراً عند كل من يدعي العلم لخلو جوفه من الحب الذي يهدب النفس ويكرم الإنسان لإنسانيته تأسياً بسيد الخلق الممدوح برقة القلب ﴿... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ...﴾<sup>118</sup> وعلا الصراخ على المنابر ورفع الصوت بعلم لا ينفع، يتهمون فيه صاحب الخلق العظيم بأنه أعرض عن أعمى وعبس في وجهه ويقول عن أصحابه العميان والسفلة والعبيد!!! أليظن هؤلاء أن ذلك ينجيهم يوم القيامة؟ وهل من يقول إن أصحابه العميان والسفلة والعبيد جدير بأن يحبه أتباعه؟ ويوصف بعظيم الأخلاق؟

وهناك ما يشكك في صحة مجيء ابن أم مكتوم للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فقد ذكر ابن كثير (عن أنس بن مالك قال "رأيت يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعني ابن أم مكتوم) ولم يرد أنه كان أعمى ثم أبصر!!! أضف إلى ذلك أن السورة مكية وابن أم مكتوم عاش بالمدينة وكان يؤذن قبل بلال لصلاة الفجر.

إن العبوس والتولي صفتان وصف الله بهما كافراً فلا يمكن أن يكون ذلك الوصف للنبي بحال من الأحوال. قال تعالى في وصف الكافر ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ \* ثُمَّ أَدْبَرَ

<sup>116</sup> سورة الأحقاف: 9

<sup>117</sup> البخاري ومسلم

<sup>118</sup> سورة آل عمران: 159

وَاسْتَكْبَرَ ﴿119﴾ وقال في حق النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ 120 فلا يليق العبوس والاستكبار والإدبار إلا بكافر. فيكون المعنى لهذه الآيات: (عبس) الكافر (وتولى) عن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله (أن جاءه الأعمى) لاهتمام النبي بالأعمى. ويتوجه الخطاب للكافر ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ \* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ 121 وهو تقريع للكافر لإعراضه واستغنائه عما كان يدعو إليه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. والله سبحانه لم يكلف نبيه إلا البلاغ حتى لا يُشقي نفسه بأكثر من ذلك ﴿طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ 122 وهو سبحانه الذي يتولى الهداية. وتخفيفاً على نبيه في الأمر لعدم استجابة الكافر يقول له ﴿أَمَّا مِنِ اسْتَغْنَىٰ \* فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ 123 ما أحلمك يا صاحب الخلق العظيم! فالذي يستغني عن حديثك بعيد عن الرحمة ولا يستحقها، ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ 124 ﴿... فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ...﴾ 125 وبما أن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ﴿... بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ 126 أثبت الله ذلك بقوله ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَىٰ \* وَهُوَ يَخْشَىٰ \* فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ \* كَلَّا...﴾ 127. فالصدود والإعراض ليس من خلقك يا أكرم الخلق بل هي من أخلاق الكفرة والمنافقين. ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ 128.

119 سورة المدثر: 22-23

120 سورة القلم: 4

121 سورة عبس: 3-4

122 سورة طه: 1-2

123 سورة عبس: 5-6

124 سورة عبس: 7

125 سورة فاطر: 8

126 سورة التوبة: 128

127 سورة عبس: 8-11

128 سورة عبس: 11

## هل ألقى الشيطان في أمنيته؟

قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ 129

جاء في تفسير الطبري "قيل: إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم واغتم به، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات. \*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالوا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا بلغ: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى ألقى عليه الشيطان كلمتين: تلك الغرانة العلى، وإن شفاعتهن لترجى، فتكلم بها. ثم مضى فقرأ السورة كلها. فسجد في آخر السورة، وسجد القوم جميعا معه، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيئا كبيرا لا يقدر على السجود. فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيبا، فنحن معك، قالوا فلما أمسى أتاه جبرائيل عليه السلام، فعرض عليه السورة؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتك بهاتين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: افْتَرَيْتُ عَلَى اللَّهِ، وَقُلْتُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِئْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ... إلى قوله: ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا. فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانَ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ. قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة

أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا: هم أحبّ إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن يزيد بن زياد المدني، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه، وشقّ عليه ما يرى من مباحثهم ما جاءهم به من عند الله، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه. وكان يسرّه، مع حبه وحرصه عليهم، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم، حين حدّث بذلك نفسه، وتمنى وأحبه، فأنزل الله: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ \* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ فلما انتهى إلى قول الله: أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ \* وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ألقى الشيطان على لسانه، لما كان يحدث به نفسه ويتمنى أن يأتي به قومه، تلك الغرائيق العلى، وإن شفاعتهن ترتضى.

يبدأ التفسير أو التفسيد ب (قيل) مستنداً عليها فمن القائل؟ هل قال نسوة في المدينة؟ إذ يبدأ الأمر بقول مجهول "أنّ السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّ الشيطان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه مما أنزل الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه" ألا يعني قولهم هذا آيات شيطانية؟ ثم يعضدوا ذلك بحديث مجهول الأصل: \*ذكر من قال ذلك: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي معشر، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالوا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه، فأنزل الله عليه: وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ...

إنّ المجهول الذي نسب الطبري إليه بداية (ذكر من قال ذلك) لا أرى إلا أن يكون إبليس أو أحد شياطين الإنس. ثم يذكر من أسند إليهم الحديث لينتهي السند إلى محمد بن كعب ومحمد بن قيس اللذان يعلمان ما في نفس رسول الله وأنه "تمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء"!!! لا حول ولا قوة إلا بالله. لأنّه كان يجلس في ناد من أندية قريش كثير أهله، وخشي أن ينفروا عنه أي أنه يفضل البقاء مع الناس كما ذكر الطبري على معية الله ولو كانوا مشركين!!!

أترى هذا الكلام عن رسول الله محمد بن عبد الله حبيب الله الذي يصلي عليه الله وقال فيه أنّه حق (وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...!) 130؟ كيف وأنّ العبد إذا أحبه الله كان سمعه وبصره ويده ورجله ولسانه الذي ينطق به؟ وهذا حبيب الله

ورسوله وخاتم أنبيائه وشهد الله له بذلك ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؟ كيف يتكلم هؤلاء عن رسول الله بهذه الصورة مدّعين أنّها تفسير لكتاب الله؟ يدّعون الألوهية أولاً وذلك بعلم ما في نفس رسول الله ويبنون على ادعائهم الفرعوني اللا أخلاقي هذا تدخل الشيطان في وحي الله لرسوله!!! ومعلوم أنّ الشيطان لا يقرب المؤمن المتوكل على الله ناهيك عن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، قال تعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ 131 فهل الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أقل درجة من الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون؟ ويقول تعالى ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ 132 فهل يريدون أن يقولوا إنّ الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليس من عباد الله؟ أم أنّه من الغاوين الذين يتبعون الشيطان؟ وفوق ذلك كله أين القسم الإلهي بأنه ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾؟

ويستمر الحديث المنسوب لمحمد بن كعب ومحمد بن قيس: "قالا فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال ما جئتك بهاتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل...".

هذا يعني أنّ ابن كعب وابن قيس كانا ملازمين لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله طيلة ذلك اليوم ولم يفارقه حتى المساء حين أتاه جبريل عليه السلام ورأيا جبريل عليه السلام وسمعا ما قاله لمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وسمعا ما قاله محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لجبريل!!! فهل يسمعان الوحي كما يسمعه رسول الله!!!

ثم يستطردان في الحديث ليقولا حينما سمعا رسول الله يقول "افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل" حينذاك سمعا أنّ الله أوحى إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِئْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ تَبْتَنَّاكَ لَفَدَّتْ كِدَّتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ 133!!! فما زال بادعائهم مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ...﴾ 134. كأنهما كانا شهوداً على كل ذلك حتى الحالة النفسية للنبي كما قالوا:

131 سورة النحل: 99

132 سورة الحجر: 42

133 سورة الإسراء: 73-75

134 سورة الحج: 52

مهموماً مغموماً!!! ويسمعان الوحي كما يسمعه رسول الله كأنهما أنبياء أو أكثر قليلاً لادعائهما الاطلاع على الحالة النفسية!!!

أما الآيات ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۗ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا \* وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا \* إِذَا لَأَذُنَّكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾<sup>135</sup> فهي ليست تقريعاً وتهديداً كما يرى المنحرفة قلوبهم المجتهدون لإثبات الخطأ على النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إنما هي وحي من الله لرسوله، لا لوجود خطأ في فعل صدر عن النبي في الظاهر. فالآية تشير إلى ما كان يمكن حدوثه من النبي في الاستمرار في تحمُّل كفر القوم ومداراته لهم؛ فحظ الناس من هذه الآيات العلم بها لا غير، لا أن يتخذوها مرجعية لإثبات الخطأ على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، ولا يوجد خطأ هنا ليتكلم عنه الناس بل هو كلام من الله لرسوله بينهما ليس لأحد الحق في حشر أنفسه فيه أو التعليق عليه بما يرى بفهمه القاصر لكلام الله. وحدُّ الناس في الكلام هو محصور فيما شرع لهم رسول الله من أفعال وتعامل على فضائل الأخلاق أما التدخل في كيفية المعاملة بين الله ورسوله والتناول للتعليق عليها غاية في الاستكبار وسوء الأدب مع الله ورسوله لأنها لا تخصهم ولا هم المعنيون بها أصلاً.

فالمعلوم أن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو رحمة الله للعالمين وليس للمسلمين خاصة فخلا طبعه من الغلظة ﴿... وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفُضِّتَ مِنْ حَوْلِكَ...﴾ فكان إذا دعا الحال إليها أمر بها ﴿... وَاعْلَظْ عَلَيْهِمْ...﴾<sup>136</sup> فطبعه يناسبه التبشير لا الإنذار ولا بد للتبليغ أن يكون معه الإنذار أيضاً لأنَّ هناك نفوس فيها من القساوة والتكبر ما يجعلها لا تعي إلا بالإنذار. وكان في إبلاغه للمشركين مداراة لهم لحرصه عليهم رغم تعنتهم ﴿... عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ...﴾ وحاشا رسول الله أن يركن إلى سلوك المشركين أو إلى اعتقادهم في الشرك. فلما أمر صاحب الخلق العظيم بأن يكون نذيراً أيضاً وقيل له ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾<sup>137</sup> بهذه الأخلاق العظيمة ﴿فُمْ فَأَنْذِرْ﴾<sup>138</sup> كان هذا الأمر هو التثبيت له من الاستمرار في مداراتهم بطبعه التبشيري ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتُمْ تَرْكُنَ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ ومحال أن يكون المعنى هو أن تركز إلى سلوكهم الجاهلي أو

135 سورة الإسراء: 73-75

136 سورة التوبة: 73

137 سورة المدثر: 1

138 سورة المدثر: 2

اعتقادهم الشركي. فلا يقول بذلك إلا من بلغ من الجهل منزلة الدواب. لأن الأمر حسمه الله سبحانه في قوله تعالى ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾<sup>139</sup> ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾<sup>140</sup> (... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)<sup>141</sup> ويقول الحق على لسانه ﴿...إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ فلم تصدر منه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مخالفة ومحال أن تصدر عنه في أداء رسالته. فليست الآية مرجعية لمن يريد إثبات خطأ على رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. وقوله تعالى ﴿... لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا﴾ هي دليل على سماحته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وعظيم خلقه وجمال طبعه لعدم النفور ممن يخالفه. فقد كان صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله حليماً ودوداً يتصدى لإبلاغ الرسالة حتى لأولئك الذين يبدون عدم الرغبة فيما جاء به فيثبت له الله ذلك بقوله ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ \* فَأَنَّ لَهُ تَصَدَّىٰ﴾ ما أعظم جلمك حتى تتصدى له ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيٰ﴾.

ومحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو أولى الناس بإبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ...﴾<sup>142</sup> فكيف كان خلق إبراهيم وجملة مع الناس؟ قال تعالى ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾<sup>143</sup> فأبراهيم عليه السلام ذهب إلى أكثر مما ذهب إليه محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يتعد عدم النفور ممن كان يدعوهم، لحرصه عليهم ومداراتهم للهداية رافة بهم، حيث جاءت الآية الشريفة ﴿... لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ...﴾ ولم يقل سبحانه (... لركنت إليهم...) فالتثبيت لم يكن من الركون إليهم بل من كونه "كاد" أن يركن إليهم فهو أبعد ما يكون من الركون أصلاً ولكنه حليماً ويتصدى لمن استغنى. أما إبراهيم عليه السلام ذهب إلى المجادلة عن القوم الضالين قال تعالى ﴿... يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قوم كانوا يتعاملون بالفاحشة جهاراً وفي ناديهم، وما كان ذلك منه إلا لأنه كان حليماً كما وصفه الله سبحانه ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾<sup>144</sup> فيجيء الأمر الإلهي ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا...﴾<sup>145</sup>.

139 سورة النمل: 79

140 سورة المؤمنون: 73

141 سورة الشورى: 52

142 سورة آل عمران: 68

143 سورة هود: 74

144 سورة هود: 75

145 سورة هود: 76



ولم يأت رسول الله محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بفعل استدعى الأمر الإلهي له بالرجوع عنه قط. فمداراته للقوم للهداية وصبره عليهم لم يصلوا إلى مرحلة تستدعي الأمر الإلهي بالنهاي عنها، فجاءه التثبيت الإلهي بأن يكون نذيراً لهؤلاء القوم ويكفي ما كان من جلم محمدي عليهم. وقوله تعالى ﴿إِذَا لَأَذْفَنَاكَ ضِغْفَ الْحَيَاةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ إنما هي لتوضيح سوء ما كان عليه القوم وصبر النبي على مداراتهم للهداية وأن من لا ينفرد منهم لسوء أعمالهم يستحق من العقاب ﴿... ضِغْفَ الْحَيَاةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ...﴾. فقوله تعالى ﴿إِذَا لَأَذْفَنَاكَ ضِغْفَ الْحَيَاةِ وَضِغْفَ الْمَمَاتِ...﴾<sup>146</sup> لا يعتبر تهديداً لأنه إخبار بأمر مضى لا بأمر يمكن حدوثه كي يكون تهديداً. فإذا يكون المراد به أن يعلم الناس أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله كان في إبلاغه لهم في غاية الرقة والمدارة. وبهذا تكون الآية هي عرض لسمو أخلاق النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأولئك الذين لا يستحقونها ولم يعلموا قدرها وعظمتها وعظم تعامله معهم في إبلاغهم بمداراتهم دون إنذار. فإنّ سوء ما هم عليه، يعادل معاملة من يداريهم بضعف الحياة وضعف الممات؛ ولم تصل مداراة النبي لهم إلى ذلك الحد. فالله سبحانه حفظه حتى من كونه "يكذب" يركن إليهم والملاحظ في الآية أنها خلت من كلمة العذاب التي أضافها المفسرون وما ينبغي لهم فإنّ المثل المضروب لقبح فعلهم يستحق ضعف الحياة وضعف الممات حتى لمن لم يكن منهم ولا ينفرد منهم. ولما كان المقصود هنا هو محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله خلت الآية من كلمة عذاب تقديراً للذات الشريفة لجلمها وكمال صفاتها وحب الله لها. والنبي في أداء رسالته لم يكن إلا على صراط مستقيم قال تعالى ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ ولا أرى من هو أكثر ضلالاً كالذي يتكلم عما في نفس النبي بما يراه نقصاً في أداء النبي رسالته، فالأمر ليس تشريعاً أصلاً ولا يخصه فالذي يخص الناس من الشريعة هو ما يخاطبهم به النبي أو يأمرهم بفعله أو تركه. أما ما كان من تعامل بين الله ورسوله فلا شأن للناس بحشر أنوفهم فيه فكيف بيني عليه أحد الناس كلاماً يقول عنه أنّه تفسير لكلام الله يتجرأ فيه على رسول الله ليقول إنّه بشر تجوز عليه صغائر الذنوب واللمم. وربما يستدل بقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ...﴾<sup>147</sup> بفهمه القاصر لها. فالمعلوم أنّ التأكيد على المعلوم يدل على شك فيه فالبشر الذي يقال فيه أنّه بشر ليس ذلك إلا لشك في بشريته فلولا أنّ أصحابه رأوا فيه سموً فوق

<sup>146</sup> سورة الإسراء: 75

<sup>147</sup> سورة الكهف: 110

البشرية لما قيل لهم **(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ...)** والرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقول **"إني لست كأحدكم"** 148.

أما الحديث الآخر "حدثنا بن حميد... عن محمد بن كعب القرظي يقول لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولي قومه عنه، وشق عليه لما جاءهم به من عند الله تمنى في نفسه ما يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه وحدث بذلك نفسه وأحبه فألقى الشيطان على لسانه ما تمناه وأحبه في نفسه"!!!

يقولون أن رسول الله يتمنى ما يلقيه الشيطان على لسانه!!! هل ما يتحدثون عنه هذا هو رسول الله؟ هذا نوع من تفسير القرآن الذي بنى عليه كثير من الناس اعتقادهم بل إن من يحفظه أو يعلمه ويصرخ به على المنابر يعد من هيئة علماء وأئمة المسلمين!! فتارة يقولون تمنى ألا يأتيه من الله شيء لأنه كان يجلس إلى ناد من أندية قريش وتارة يقولون إنه تمنى أن يأتيه ما يلقيه الشيطان على لسانه!!! وفي كلا الحالتين يرجعون الأمر إلى رغبته في بقائه بين قومه المشركين رغم شركهم بدلاً عن معية الله تعالى!!! هكذا يرون رسول الله!!!

إن الآية التي يدعون تفسيرها أولاً تبرئ النبي محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من تدخل الشيطان في أمنيته، فإن ذلك كان لمن سبقه من الرسل والأنبياء. فالآية مدح للحبيب وإثبات أنه حق ليس للشيطان إليه سبيل حتى فيما يتمنى. وما كان من تدخل للشيطان في شأن الرسل والأنبياء السابقين هو فقط في التمني وليس في الوحي. والتمني أمر داخلي في نفس الإنسان وليس عمل ظاهر وكل الرسل والأنبياء لا يصدر منهم ما يخالف ما أمرهم به الله من تبليغ رسالته. أما ما يختلج في النفوس فإن الله يتولى بواطنهم كما يتولى ظواهرهم فلا يجعل للشيطان إليهم سبيلاً حتى فيما يتمنونه **(... فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ...)** 149. قال تعالى **(إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ...)** 150 بل ليس له سلطان على من يؤمن بهم **(إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ)** 151.

فالشيطان لا علاقة له ولا تأثير على ما جاءت به الرسل والأنبياء ولا على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. فكان هذا إخبار ومدح من الله سبحانه لنبيه بأنه ما كان من تمنى عند الرسل والأنبياء السابقين يتدخل فيه الشيطان، في مجرد التمني

148 سنن الترمذي

149 سورة الحج: 52

150 سورة الحجر: 42

151 سورة النحل: 99-100

لا أكثر، ولكن الله يتولى أمرهم فينسخ الله ما يُلقى الشيطان في ذلك التمني حتى لا يكون له أي علاقة في أمور الأنبياء والمرسلين حتى فيما يتمنونه.

أما ما جاء على لسان أيوب عليه السلام ﴿... أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾<sup>152</sup> فذلك من حُسن أدبه عليه السلام حتى لا ينسب إلى الله ما ابتلاه به فهو يعلم أن ليس للشيطان حول وقوة مع الله وأن كل شيء بقدر الله وهي شبيهة بقول إبراهيم عليه السلام ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾<sup>153</sup> رغم أنه قال ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾<sup>154</sup> كي لا ينسب المرض إلى الله ونسبه إلى نفسه ولكنه رأى في عدم نسبة الأمر إلى الله في الابتلاء بالمرض خطيئة خشي منها فقال ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>155</sup> أي ما ادعيت لنفسي من حول وقوة مع الله. وذلك من أدب الأنبياء عليهم السلام مع الله سبحانه.

وكذلك رغم الحدة التي كانت في طبع موسى عليه السلام فإنها لم تخرجه عن الأدب مع الله سبحانه فإنه حينما اعتذر عن الرسالة التي أمره الله بها إلى فرعون وقومه ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْغَافِلِينَ \* قَوْمٌ فَرَعَوْنَ ۗ أَلَا يَتَّقُونَ﴾<sup>156</sup> لم يسارع بالاستجابة للأمر الإلهي بالقيام بالرسالة بل اعتذر عن ذلك ولكنه أبدى أسبابه أولاً حيث قال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ \* وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي...﴾<sup>157</sup> واقترح أخاه هارون للرسالة حتى لا يكون بعيداً عن الأمر الإلهي فقال ﴿... فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾<sup>158</sup> ثم أضاف إلى اعتذاره ﴿وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾<sup>159</sup> فكان في غاية الأدب مع الله مع إظهار الضعف في الاعتذار لله فكان محل العناية الإلهية ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾<sup>160</sup> ﴿... وَلِتُصْنَعَ عَلَيَّ عَيْنِي﴾<sup>161</sup> وبما أن الأمر الإلهي لا بد منه لم يعفه الله من الرسالة قال ﴿... كَلَّا...﴾<sup>162</sup> ثم أضاف له أخاه هارون رسولاً معه من لطف الله وحبه لرسله. وقال له ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>163</sup> ولم يقل "رسولاً" ليعلم أن الرسالة أصلاً لموسى عليه السلام وأن هارون أضافه له سبحانه من حضرة الرحموت مؤازرة له.

152 سورة ص: 41

153 سورة الشعراء: 80

154 سورة الشعراء: 79

155 سورة الشعراء: 82

156 سورة الشعراء: 10-11

157 سورة الشعراء: 12-13

158 سورة الشعراء: 13

159 سورة الشعراء: 14

160 سورة طه: 41

161 سورة طه: 39

162 سورة الشعراء: 15

163 سورة الشعراء: 16

## ماذا أخفى في نفسه؟

قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ۗ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا ۗ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ 164.

جاء في تفسير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عتابا من الله له (و) اذكر يا محمد (إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالهداية (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالعتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زيد، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يجب أن تكون قد بانته منه لينكحها (وَاتَّقِ اللَّهَ) وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك (وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها، والله أحق أن تخشاه من الناس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) أعتقه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) قال: وكان يخفي في نفسه ودَّ أنه طلقها. قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه

منها؛ قوله **(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)** ولو كان نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كاتباً شيئاً من الوحي لكتبها **(وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)** قال: خشي نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالة الناس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوماً يريد على الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلما وقع ذلك كرهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: ما ذاك، أراك منها شيء؟ " قال: لا والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أمسك عليك زوجك واتق الله، فذلك قول الله تعالى **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)** تخفي في نفسك إن فارقتها تزوجتها. حدثني محمد بن موسى الجرشى، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي حمزة قال: نزلت هذه الآية **(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)** في زينب بنت جحش.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن علي بن حسين قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: **(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ)**. حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا داود، عن عامر، عن عائشة، قالت: لو كتم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئاً مما أوحى إليه من كتاب الله لكتبتم **(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ)**.

جاء في هذا الذي ذكره الطبري.. "وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر رآها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه ووالديه وآله فأعجبته وهي في حبال مولاه فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبارك عليه ووالديه وآله".

يقول "رأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأعجبته وهي في حبال مولاه" فمن أين لهم "فأعجبته" هذه؟ إنهم يحكمون على رسول الله بما يدعون أنه في نفسه، فيما يعجبه

وما لا يعجبه رجماً بالغيب الذي في نفس رسول الله!! ألم يكن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله هو الذي زوجها لزيد؟ ألم يرها قبل ذلك؟ ثم الأمر العجيب هو أن الطبري يدعي أنه يعلم السبب الذي من أجله يصدر الله أفعاله كأن الله سبحانه يفكر ويحتاج للأسباب ليفعل، (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا) 165. فالله سبحانه لا يفعل بتفكير بل بإرادة. فهو تعالى مقدر بعلم ومدبر بأمر ومجر بقدر، فهو فعّال لما يريد. يقول في تفسيره "لما علم الله مما وقع في نفس نبيه..." "كأن الله لم يكن يعلم أو كأنه تعالى ليس المقدر لكل شيء وكأنه يحتاج للأسباب ليفعل!! والطبري في نفس الوقت يؤكد ادعاءه أن هناك أمراً ما وقع في نفس النبي! وذلك بعلمه بالغيب الذي في الأنفس!! ويعلم بادعائه الوقت الذي علم الله فيه بذلك!!

ثم يستطرد قائلاً (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "امسك عليك زوجك" وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون بانة منه لينكحها..) هكذا يصف من وصفه الله بالخلق العظيم وصلى عليه بأنه يقول شيئاً وفي نفسه شيء آخر!! وهذا الشيء الآخر الذي اختلقه هو كلمة "يجب أن تكون بانة منه لينكحها" وهو أمر يدعون أنه في نفس النبي ولكنهم اطلعوا عليه!! ويدعون أن من أجله أنزل الله قرآنه فيه!!!!!! وما ذاك إلا الطعن في أخلاق رسول الله صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله.

ويفسر (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) بقوله ("وتخفي محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك"). بمعنى سيكشف الله أمرك للناس أي سيفضحك أمام من أرسلك إليهم بأنك تحب أن يطلق ابنك بالتبني زوجته لتتزوجها؛ فإن ما يخفيه الإنسان إنما هو من المساوي. هكذا يُفسر عندهم القرآن!! وهل ما أبداه الله هو كما قال الطبري (تخفي محبة فراقه إياها لتتزوجها إن هو فارقها)!! هل قال الله ذلك؟

ولننظر إلى كتاب الله سبحانه فقد قال تعالى (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) فما الذي أبداه الله؟ هل قال تعالى إن محمداً كان يحب زينب وهي في عصمة ابنه بالتبني وإنه كان يتمنى أن يطلقها ليتزوجها هو؟ إنهم يتحدثون عن قرآن غير هذا الذي أنزله الله!! قرآن غير مرني وهو في دواخل النفوس مما لم يتكلم به النبي وهو أمر خفي بين الله ورسوله غير الذي بين أيدينا ولم يبده الله لنا لياتوا هم

بتفسيره!! إنَّ ما أبداه الله سبحانه واضح غير مخفي وهو قوله تعالى: ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ فما أبداه الله هو زواجه منها. وهو الذي كان يعلمه رسول الله، أي أنه كان يعلم أن زينب من زوجاته اللاتي كتب الله له وأنه لا يحل له النساء من بعد ولو أعجبه حسنهن. قال تعالى ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ...﴾ 166 - وفي هذه الآية دليل على عدم النقاب- فأخفى علمه عن زيد بأن زينب من زوجاته وذلك لأخلاقه العظيمة، حتى لا يتأذى زيد من إظهار هذا العلم، بينما هو أرسل بالبلاغ، والعلم من البلاغ. فأبدى الله سبحانه للناس علمه هذا الذي أخفاه ﴿... فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا...﴾ حتى لا يكون الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ترك من تبليغ العلم شيئاً. وما أخفاه من العلم متدثراً بأخلاقه، أبداه الله بالفعل ليكون مبلغاً غير كاتم من العلم شيئاً، ﴿... مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾ 167. فهل أخفى الله شيئاً من كتابه ليوضحه أحد غير من أرسله به؟ إنهم يسيئون إلى أنفسهم باختلاق قصة ليقولوا إنَّ ما أبداه الله هو ما أخفاه في نفس النبي من الأحاسيس وليقولوا إنَّ ما أخفاه الله اطلعوا عليه على الرغم من أن الله سبحانه أخفاه!!!

إنَّ الآية تدل على عظمة كمال الأخلاق المحمدية بعكس ما ذهبوا إليه وأساءوا به إلى أنفسهم فالنبي رغم علمه بأن زينب من زوجاته كتم ذلك العلم عن زيد حتى لا يكون في صدر زيد شيء من زواج النبي بها بعد فراقه لها. وذكروا حديثاً موضعاً للآية وهو الذي رواه علي بن حسين (رضي الله عنهما) فلماذا عدلوا عنه؟ حدثنا خالد بن أسلم، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن علي بن حسين قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها، قال: اتق الله وأمسك عليك زوجك، قال الله: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ﴾. أليس هذا الحديث متناسق مع معنى القرآن ووضوحه؟ فلماذا عدلوا عنه!!!

ويفسر الطبري قول الله تبارك وتعالى ﴿... وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ...﴾ بقوله (يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها. والله أحق أن تخشاه من الناس). لعمري إنَّ هذا تبديل لكلام الله وادعاء أنه قرآن!! فالله لم يقل ذلك وليس في كلامه غموض. هل علم

166 سورة الأحزاب: 52

167 سورة الأنعام: 38

الطبري أنّ في مراد الله هذا الكلام الذي ذكره هو وأنّ الله أنزل غيره؟ ولا يتوانى في قوله (يقول تعالى ذكره) ثم يأتي بحديثٍ من عنده كأنّه قول الله الذي كان ينبغي أن يكون واضحاً للناس كما يرى الطبري وليس كما قال تعالى. فالآية عنده كان ينبغي أن تكون هكذا: يقول تعالى "وتخاف أن يقول الناس أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس"!!! كأن مراد الله من الآية غير واضح وفيه غموض على الناس، ويحتاج الطبري ليوضحه للعباد!! أي أنّ آية الطبري كما يرى أوضح من آية الله سبحانه!! فالله عند الطبري لم يوضح كل شيء!!! فهناك شيء أخفاه الله وأخفاه الرسول كما يقول ووضحه هو بتفسيره!!! فالرسول عنده لم يوضح الرسالة كما يجب ولم يتركنا على المحجة البيضاء!!! ويتهمونه بإخفائه أمراً ينتقص من قدره الشريف!!!

ولما كان الله سبحانه قد أعلم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بزوجاته، قال تعالى (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) 168 لم يكن تزويجه زينب لزيد إلا لتوضيح الأمر الشرعي وهو (لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) 168 لم يكن يقول أدعياء علم الغيب (رأى منها ما أعجبه فوق حبه في قلبه) بل كان الأمر كله تشريعاً بعلم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنّ الشريعة هو الذي يرسي قواعدها ويحكم تطبيقها لا غيره لأنّه المرسل بها اللهم إلا أن يكون مرادهم أن يقولوا (لَسْتُ مُرْسَلًا...). وإلا لكان تعزيره وتوقيره الذي أمرهم به الله مكان ما جاءوا به من إفك وسوء القول فيما نسبوه للذات الشريفة مما لا يليق بصاحب الخلق العظيم وأشرف من وطئ الثرى.

والنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يعلم أنّ زينب من زوجاته وزوجها لزيد لتحصيل الحكم الشرعي في زواج الأدعياء لذلك كان يعلم أنّ زيدا سيطلقها لأنها من زوجاته اللاتي كتب الله له. أمّا من ينكرون علمه صلى الله وبارك الله ووالديه وآله بالمستقبل فلينكروا علمه بأماكن مصارع القوم في معركة بدر بل لينكروا علمه بمن هو في الجنة ومن هو في النار!!! وليثبتوا العلم بالمستقبل لورقة



بن نوفل في قوله "ليتني فيها جذعاً حين يخرجك قومك" وليثبتوه لعمر بن الخطاب فيما نسبوه إليه في قوله: يا سارية الجبل وليثبتوه لعلماء الأرصاد!!

وأحب أن أوضح أنّ العلم بالمستقبل ليس علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله كما شاعت الفتوى بذلك وحُرم المسلمون من التقدم العلمي بسبب هذه الفتوى الوهابية التي يكفرون بها المسلمين والعلماء. فإنّ العلم بالمستقبل متاح حتى لإبليس الذي لعنه الله سبحانه فقد أثبت الله سبحانه في القرآن العظيم أن إبليس حينما رفض السجود لآدم طرده الله من الحضرة ولعنه فسأل الله ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾<sup>169</sup> وهذا يدل على علمه بأنه سيكون هناك يوم للبعث وهو مؤمن به وبحدوثه وسأل الله ولم يسأل غيره ليبقيه حتى ذلك اليوم وبهذا فهو مؤمن بالله واليوم الآخر. وكان يعلم كذلك أنّ لذلك المخلوق الذي رفض السجود له ولم يكن بشر غيره يعلم أنه ستكون له ذرية ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لِنُؤْنِ أَعْرَتِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً﴾<sup>170</sup> وأقسم بعزة الله ولم يقسم بغيره على أن يُغوي ذرية هذا الذي لم يكن بشر غيره حينها ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ \* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ﴾<sup>171</sup> وكان يعلم أنه سيكون من ذرية آدم عباد مخلصون لا يستطيع إغواءهم. فأين موقع أصحاب هذه الفتوى الذين يقولون لا يعلم بالمستقبل إلا الله ويحصرّون الغيب على العلم بالمستقبل؟ وكم من المؤمنين الذين ينظرون بنور الله كُفِّروا بل وقُتِلوا بسبب هذه الفتوى الوهابية؟

والغيب منه ما كان داخل الزمن الماضي والحاضر والمستقبل وهذا متاح للعباد فعلماء الآثار لهم من الماضي نصيب. والحاضر الذي صار غيباً لبعده المكان صار متاحاً لوجود التقنية الحديثة. والمستقبل متاح لعلماء الفلك بالكسوف والخسوف وعلماء الأرصاد. أما الغيب الذي لا يعلمه نبي مرسل ولا ملك مقرّب هو العلم بالنفع والضرر ﴿... عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ۗ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾<sup>172</sup> وهذا غير مقيد بالزمن. هذا هو الغيب الذي لا يعلمه أحد غير الله سبحانه.

وأما قوله ﴿...أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ...﴾ فهو لعظمة أخلاقه المتدبّر بها، لا يملك أن يقول غير ذلك وهو يعلم أنّ الله مجرّ قدره بطلاق زيد ثم زواجه

169 سورة الحجر: 36

170 سورة الإسراء: 62

171 سورة ص: 82-83

172 سورة البقرة: 216

بها. فهو المدثر بالأخلاق العظيمة. والأخلاق فوق العلم. لذلك مدحه الله بها، لأته صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فضلها على العلم. وهي التي بُعث بها ليتممها. فأنتمها ومُدح بها. فالآيات هي من أعظم المدح لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وإظهار لعظمة أخلاقه بعكس ما ذهب إليه المفسرون مما يشير إلى طعنهم في الذات الشريفة المحمدية وقبولهم للقول ﴿... لَسْتُ مُرْسَلًا...﴾ وقلبهم للحقائق وتغيير مفهوم النص والإساءة إلى أنفسهم بما ذكروا فالنبي لا يوصف إلا بعظيم الأخلاق كما قال تعالى فما طعنوا وما أساءوا إلا إلى أنفسهم.

## ماذا جرى لأسرى بدر؟

جاء في تفسير الطبري : القول في تأويل قوله : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ ۖ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ 173. قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: ما كان لنبي أن يحتبس كافرًا قدر عليه و صار في يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ. وإنما قال الله جل ثناؤه (ذلك) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يعرّفه أن قتل المشركين الذين أسرهم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

وقوله : ﴿...حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ...﴾، يقول: حتى يبالغ في قتل المشركين فيها، ويقهرهم غلبة وقسرًا.

(تريدون)، يقول للمؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تريدون)، أيها المؤمنون، (عرض الدنيا)، بأسركم المشركين = وهو ما عرض للمرء منها من مال ومتاع. يقول: تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطعمها = (والله يريد الآخرة)، يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته في جناته، بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض. يقول لهم: فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا، لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها = (والله عزيز)، يقول: إن أنتم أردتم الآخرة، لم يغلبكم عدو لكم، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب = وأنه (حكيم) في تدبيره أمر خلقه.

ذكر من قال ذلك: حدثني المثنى قال، حدثنا عبد الله بن صالح قال، حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس قوله : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخَّنَ فِي الْأَرْضِ...﴾، وذلك يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل، فلما كثروا واشتد سلطانهم، أنزل الله تبارك وتعالى بعد هذا في الأسارى: ﴿... فَأَمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِنَّمَا فِدَاءٌ...﴾ 174، فجعل الله النبيّ والمؤمنين في أمر الأسارى بالخيار، إن شاءوا قتلوهم، وإن شاءوا استعبدوهم، وإن شاءوا فادّوهم.

173 سورة الأنفال: 67

174 سورة محمد: 4

يقول الطبري: وإنما قال الله جل ثناؤه (ذلك) لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، يعرفه إن قتل المشركين الذين أسره صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم.

معلوم أن النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله قبل المعركة في بدر قال للمقاتلين "من لقي منكم العباس فليكف عنه فإنه خرج مستكراً" 175 ولم يستثن أحداً غيره بل أخبرهم بمصارع بعض القوم. وليس في ذلك دلالة على أن يقوم المحاربون بأخذ الأسرى، ولكنهم أثروا أخذ الأسرى قبل الإثخان ليستأثروا بالغنائم؛ فوعدت منهم المخالفة بأخذ الأسرى وغنائمهم. فقال تعالى ﴿... تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا...﴾ وهي الغنائم وليس الفداء كما يقول الطبري. فالقتل لا يكون إلا لمحارب ولا يقتل كافر لكفره إلا إذا كان محارباً وإذا أسير كان الأسر أماناً له من القتل لقوله تعالى ﴿... فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً...﴾ وذلك بعد شد الوثاق الذي هو الأسر فلا يكون بعد شد الوثاق الذي هو الأسر قتل أصلاً بل إمّا مناً وإمّا فداء. ولذلك أمر الله سبحانه نبيه بمخاطبة الأسرى لا بقتلهم ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى...﴾ 176. ولكن المحاربين بدلاً من الإثخان وقتل الأعداء في الميدان، أسروهم وأخذوا الغنائم منهم، وجاءوا بهم لرسول الله صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله وأشاروا إليه بقتلهم. وقالوا إن عمر رضي الله عنه كان متشدداً في ذلك وأشار إلى النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله بقتلهم بقوله "حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هودة للمشركين" (مسند أحمد بن حنبل). ولكن، ألم يكن ميدان المعركة أولى بالقتل فلماذا لم يقتلوهم هناك؟ وهل لا يعلم الله ما في قلوبهم إلا بعد فعلهم؟

جاء بالأسرى لنبي الرحمة صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله فكيف الظن بتعامله مع أسير لا حول له ولا قوة، والله سبحانه مدح من يُحْسِنُ لِلْأَسِيرِ في قوله ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ 177. فهل نزلت هذه الآية بعد أن قويت شوكة المسلمين كما يقولون ليبرروا تفسيرهم بأن الله يأمر بقتل الأسرى لا الإحسان إليهم؟ فالإحسان إلى الأسير هو من حب الله تعالى.

واضح في الآية أن العتاب لم يكن على الرسول صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله وإلا لكان الخطاب "تريد" ولكنه كان على المحاربين لقوله تعالى "تريدون" ولم يكن لديهم أمر من رسول الله صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله

175 المستدرك على الصحيحين

176 سورة الأنفال: 70

177 سورة الإنسان: 8

ليأتوه بأسرى. بل كان في تحديد مصارع القوم إشارة إلى الإثخان ولكنهم آثروا الغنائم على الإثخان فوقعوا في المخالفة بأخذهم الأسرى لإرادتهم عرض الدنيا؛ كما خالفوه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أيضاً في معركة أحد حين أمر الرماة أن يكونوا في أماكنهم لا يبرحونها وقال لهم "وإن رأيتُمونا تخطفنا الطير" 178 ولكنهم حين رأوا بادرة النصر حينذاك تركوا مواقعهم من أجل أخذ الغنائم وعصوا الرسول. قال تعالى ﴿... وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ ۚ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ...﴾ 179 فأثبت الله تعالى معصيتهم للنبي وكان منهم من يريد الدنيا فكان ذلك سبباً لهزيمتهم ولم ينهزم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بل ظل صامداً دونه الجبال الراسيات يدعوهم في أخراهم قال تعالى ﴿إِذْ تَصْعَدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰ أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ...﴾ 180.

يقول الطبري: إنما قال (ذلك) لنبيه يعرفه أن قتل المشركين الذين أسرهم يوم بدر ثم فادى بهم كان أولى بالصواب.

فهل في الآية ما يشير إلى قتل الأسرى؟ كلا ثم كلا لأن الأسير لا يُقتل فالآية تشير إلى عدم اتخاذ الأسرى -الذي هو شد الوثاق- قبل الإثخان في الحرب في ميدان المعركة. والإثخان هو إنهاء العدو في الميدان وإلحاق الهزيمة به لدرجة أن بعضهم يُسلم نفسه أو يستسلم خوف القتل. ولا يُسمى قتل الأسرى إثخانا. فمحل الإثخان هو الميدان وليس قتل الأسرى. أما التعامل مع الأسرى -الذي هو بعد المعركة التي يكون فيها الإثخان- إذا كان بعد إثخان أو قبل إثخان هو أمر آخر لا علاقة له بالمعركة والقتال، لأنه تعامل بعد المعركة، وهو واضح في قول الله تعالى لنبيه في أمر الأسرى. فلم يأمره الله بقتلهم بل بعدم قتلهم فقال له سبحانه ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ...﴾ 181 فخفف عنهم صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فيما أخذه منهم المحاربون من الغنائم بقوله تعالى ﴿... يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ...﴾. ثم كان الفداء، فمنهم من كان عليه تعليم عشرة من أبناء المسلمين ومنهم من فادى بمال. والنبي لا يغير ما جاء به من عند الله في أمر الأسر في الشرع الإلهي بحكم تغير الوضع الأمني. ﴿... إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ 182. وفي قوله تعالى ﴿وَأِنْ يُرِيدُوا

178 صحيح البخاري

179 سورة آل عمران: 152

180 سورة آل عمران: 153

181 سورة الأنفال: 70-71

182 سورة الأحقاف: 9

خِيَانَتِكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ...﴾ إشارة واضحة من الله سبحانه لإطلاق سراحهم بالمن أو الفداء ولو كانت نيتهم الخيانة مستقبلاً. وهو نقيض ما قالوه في وجوب قتل الأسرى، فهم يقولون في القرآن بغير ما قال الله ويظن كثير من العباد أنّ ما جاءوا به من افتراء على الله هو الدين الذي أنزله الله على رسوله فقاموا هم بتوضيحه لرؤيتهم تقصير الرسول في أداء رسالته!!! وهذه ميولهم دائماً فيما يسمونه تفسيراً للقرآن!!! إنهم يشيرون فيما يسمونه تفسيراً إلى أنّ الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يقوم بأمر الرسالة من عنده ولا يتبع ما يوحى إليه لكي يخطئ ويحاسبه الله على خطئه في أداء الرسالة وأنّ القرآن لا يجيء مبيناً للنبي ما يفعله وما يتبعه بل يجيء لاحقاً لإظهار خطئه. وبهذا التفسير لا يكون القرآن مبيناً للرسول أداء رسالته بل بعد المطلوب منه فعله ليكون لا تأثير له إلا العتاب للمرسل وإظهار عدم حُسن تعامله تعالى الله عن ذلك.

يقول الطبري: (تريدون بأخذكم الفداء من المشركين متاع الدنيا وطُعْمها = (والله يريد الآخرة)، يقول: والله يريد لكم زينة الآخرة وما أعدّ للمؤمنين وأهل ولايته في جناته، بقتلكم إياهم وإثخانكم في الأرض. يقول لهم: فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا، لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها = (والله عزيز)، يقول: إن أنتم أردتم الآخرة، لم يغلبكم عدوّ لكم، لأن الله عزيز لا يقهر ولا يغلب = وأنه (حكيم) في تدبيره أمر خلقه).

كل ذلك الذي حكاه الطبري يشير إلى مخاطبة المحاربين وليس مخاطبة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله إذ يقول فيه (فاطلبوا ما يريد الله لكم وله اعملوا لا ما تدعوكم إليه أهواء أنفسكم من الرغبة في الدنيا وأسبابها). وهذا خطاب للجمع وليس للفرد فكيف ينسبه للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ أما كونه قصد بذلك النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رغم ذلك فإنه يكون قد جاء بغير ما أنزل الله وما لا تسعفه به اللغة وقال في حق رسول الله من عنده ما لا يوجد في كتاب الله من أهواء النفس والرغبة في الدنيا وأسبابها!! وحاشا رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يوصف بالرغبة في الدنيا وأسبابها. والخطاب الإلهي موجه للمحاربين وليس خطاباً موجهاً لفرد. فكيف يقر الطبري بذلك ثم يقول أنّ المراد به هو رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله!! فما هذا الجروح لاختلاق ما لا يليق من الصفات ونسبتها إلى الجنب المحمدي العظيم؟ فمن الغريب أن يقر الطبري بما هو خطاب للجمع ثم يقول إنّ المقصود بذلك هو فرد لينتهي للقول بأنّ المقصود هو رسول الله. للتفصيل من القدر الشريف وهيئات.

أما ليّهم عنق الحقيقة وتفسيرهم قتل الأسرى بأنه هو الإثخان وأنّ الغنائم هي الفداء، وتفسيرهم مخاطبة الله سبحانه للمحاربين بأنها خطاب للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله، إنما يريدون بذلك إظهار خطأ على النبي وإصاق صفات لا تليق بجنابه العظيم وقدره الفخيم وكذلك لينسبوا إليه عدم التصديق ثم المخالفة لقوله تعالى ﴿... إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾. ليقولوا ﴿... لَسْتُ مُرْسَلًا...﴾ وإن لم يتفوهوا بها. والله متم نوره ويحق الحق. وحاشا لله أن يُرسل رسولا برسالة خاتمة ولا يُنزل عليه القرآن في كيفية التعامل فيها ولا يعصمه من الخطأ في أدائها ليتعثر في المطلوب منه ثم يجيء القرآن لاحقا لعتابه وإظهاره بالتقصير!!!

## بماذا كان يتدثر النبي؟

يقول الطبري : يقول جل ثناؤه: ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ )<sup>183</sup> يا أيها المتدثر بثيابه عند نومه. وذكر أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قيل له ذلك، وهو متدثر بقطيفة.  
\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ) قال: كان متدثرا في قطيفة. وذكر أن هذه الآية أول شيء نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قيل له: ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ).

كما حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي: "بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا (1) ، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمَلُونِي زَمَلُونِي، فَدَثَّرُونِي" فأنزل الله ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ فُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ .. ) إلى قوله: ( وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ) قال: ثم تتابع الوحي.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا الأوزاعي، قال: ثني يحيى بن أبي كثير، قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول، فقال: ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ) فقلت: يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ( يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ )، فقلت: يقولون: اقرأ باسم ربك الذي خلق فقال: لا أخبرك إلا ما حدثنا النبي صلى الله عليه وسلم، قال: جاورت في جراء؛ فلما قضيت جوارى هبطت، فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقدامي، فلم أر شيئا، فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه، هكذا قال عثمان بن



عمرو، إنما هو: فجثت منه، ولقيت خديجة، فقلت دثروني، فدثروني، وصبوا عليّ ماءً، فأنزل الله عليّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ).

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عليّ بن مبارك، عن يحيى بن أبي كثير، قال سألت أبا سلمة عن أول ما نزل من القرآن، قال: نزلت (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أول؛ قال: قلت: إنهم يقولون اقرأ باسم ربك الذي خلق، فقال: سألت جابر بن عبد الله، فقال: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " جاورت بحراء؛ فلما قضيت جوارى هبطت، فسمعت صوتاً، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً، فأثبت خديجة، فقلت: دثروني وصبوا عليّ ماء بارداً، فنزلت (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ).

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن الزهري، قال: فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة، فحزن حزناً، فجعل يدعو إلى شواهد رءوس الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبي الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك، قال: "بينما أنا أمشي يوماً إذ رأيت الملك الذي كان يأتيني بحراء على كرسي بين السماء والأرض، فجننت منه رعباً، فرجعت إلى خديجة فقلت: "رملوني"، فزملناه: أي فدثناه، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) قال الزهري: فكان أول شيء أنزل عليه: اقرأ باسم ربك الذي خلق ... حتى بلغ ما لم يعلم. واختلف أهل التأويل في معنى قوله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ)، فقال بعضهم: معنى ذلك: يأبها النائم في ثيابه. \*ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قال: يأبها النائم.

حدثنا بشر، ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) يقول: المتدثر في ثيابه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يا أيها المتدثر النبوة وأثقالها.

\*ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: وسئل داود عن هذه الآية (يا أيُّها المُدبِّرُ) فحدثنا عن عكرمة أنه قال: دبّرت هذا الأمر فقم به.

يقول الطبري معنى (يا أيُّها المُدبِّرُ) يا أيُّها المدبّر بثيابه عند نومه. وذكر أنّ نبي الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قيل له ذلك وهو متدثر بقطيفة. فجزم الطبري بنومه عند نزول القرآن عليه.

ويجيء حديث يونس الذي ينسبه إلى جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي: "بَيْنَا أَنَا أَمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "فَجِئْتُ مِنْهُ فَرَقًا، وَجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمُونِي زَمُونِي، فَدَثَرُونِي" فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَبِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ..) وهذا يعني أنه لم يكن نائمًا كما قالوا وفي قطيفة!

ويلاحظ في الحديث "فجئنت منه فرقاً" وهذا يتنافى مع قوله تعالى ﴿... إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾<sup>184</sup> كما أنه يثبت علاقة سابقة بين النبي والملك في حراء "فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا الْمَلِكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءَ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ" وهذه كفيّلة بإبعاد الخوف.

أما حديث ابن المثنى الذي يصله إلى أبي سلمة ثم إلى جابر جاء فيه أنّ أول ما نزل من القرآن (يَا أَيُّهَا الْمُدَبِّرُ) وليس ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>185</sup>. ويروى عن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أنه بعد رجوعه من حراء سمع نداء فرفع رأسه إلى السماء فرأى الملك الذي كان يأتيه في حراء فقال صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله "فجئنت منه فرقاً" ولقيت خديجة فقلت دثروني فدثروني وصبوا عليّ ماء فأنزل الله عليّ (يَا أَيُّهَا الْمُدَبِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ). فهذا الحديث لا يتحدث عن نوم النبي في قطيفة كما ذكر في أول هذا التفسير بل عند رجوعه من حراء في الطريق ويتحدث عن خوف النبي عند رؤية الوحي بينما الله سبحانه يقول ﴿... إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾. وإذا كان الوحي الذي يذكرون أنه خاف منه هو الذي كان يأتيه في حراء فكيف يخاف ممن اعتاد عليه؟ ثم يشكك الحديث في ما أنزل أولاً من القرآن هل هو سورة اقرأ أم سورة المدثر!!!

184 سورة النمل: 10

185 سورة العلق: 1

وحديث بن عبد الأعلى عن ابن ثور عن الزهري يضيف إلى ما قبله محاولة النبي للانتحار فينسب الحديث إلى الزهري قوله: (فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة، فحزن حزناً، فجعل يدعو إلى شواهد رءوس الجبال ليتردى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبي الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه).

فمن الذي كان يراقب النبي وهو يدعو إلى شواهد الجبال ليتردى منها؟ ومن الذي سمع جبريل يقول للنبي (إنك نبي الله)!!؟! هل نسب الزهري الحديث للنبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله؟ لا يبدو ذلك وإلا لكان يذكر كلمات النبي نفسها ولكن تأتي جملة يقول فيها: فكان النبي يحدث عن ذلك فيظن السامع أن ما ذكره آنفاً هو من كلام النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله ثم قال: (وهنا يذكر ما نسبه للنبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله ولكنه لم يذكر من سمع ذلك من النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله). قال " "بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي يَوْمًا إِذْ رَأَيْتُ الْمَلَكَ الَّذِي كَانَ يَأْتِينِي بِحِرَاءٍ عَلَى كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَجَنَنْتُ مِنْهُ رُعبًا، فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: زَمَلُونِي فزَمَلَنَاهُ أَي فِدْثَرْنَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ). قال الزهري: فكان أول شيء أنزل عليه: "اقرأ باسم ربك الذي خلق حتى بلغ ما لم يعلم". وهذه أغرب نهاية للحديث إذ يتحدث عن المدثر ثم يقول أول ما نزل من القرآن هو اقرأ باسم ربك الذي خلق!!! وفي الحديث كذلك يحكي الزهري عن النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله "فرجعت إلى خديجة فقلت زملوني زملوني" قال فزملناه أي فدثرناه!! فكان الأخرى أن يقول (فزملته أو فزملتني) ولكن وضع نفسه مع خديجة رضي الله عنها حيث قال (فزملناه أي فدثرناه) فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ) فكان أول شيء أنزل عليه: اقرأ باسم ربك الذي خلق!! ولا أدري ما السبب في ذكر سورة اقرأ هنا!! هل هي للتشكيك؟

وما يجره هذا التفسير وهذه الأحاديث من مساوئ:

1. أن النبي بدأه الوحي وهو نائم في قطيفة وليس في حجارة غار حراء
2. أن النبي بدأه الوحي وهو يمشي في الوادي فلا يعرف أيهما أصح!
3. أن النبي صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله خاف من الوحي بينما هو يمشي في الوادي ولم يخف منه في غار حراء!!

4. إثبات الخوف للنبي رغم قول الله تعالى ﴿... إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ فَإِنَّ مَنْ يَخَافُ لَيْسَ مَرْسَلًا. وهذا تشكيك في الرسالة!
5. إِنَّ النَّبِيَّ حَاوَلَ الْإِنْتِحَارَ مَرَارًا!!
6. الشك في ما أنزل أولاً من القرآن على النبي بينما الأمر هو تفسيرهم لكلمة المدثر فذكروا أنه كان نائماً في قطيفة وأبطلوه بما ذكروا من أحاديث توضح خلاف ذلك!!

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يا أيها المدثر بالنبوة وأثقالها.

والأقرب إلى الصحة هو ما قاله هؤلاء الآخرون غير المعروفين.

عن عكرمة أنه قال: دُثِرَتَ هذا الأمر فقم به. لكن من الذي قال ذلك؟!!!

والقرآن يوضح بعد قوله تعالى للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) قال له (قُمْ فَأَنْذِرْ). ومعلوم أنّ الله سبحانه يحب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ويصلي عليه هو وملائكته ومدحه بعظيم الأخلاق. وعندما تبلغ الأخلاق من العظمة بحيث يمدح الله بها من تدثر بها يكون الإنذار ثقيلاً من صاحب تلك الأخلاق العظيمة. والتبشير هو الذي يكون الأنسب له لأنه الرحمة التي كتبها الله على نفسه؛ فلا يميل إلى الإنذار إلا إذا كُفِّ به. فناداه من يحبه وأرسله جل وعلا بما مدحه به وهي الأخلاق العظيمة المتدثر بها (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) بهذه الأخلاق (قُمْ فَأَنْذِرْ) لتكون بشيراً ونذيراً فمن الناس من لا يناسب طبعه التبشير لغلظة وتكبر فيه؛ فلا بد من إنذاره لتقويم أخلاقه من التكبر، فيذكّره النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بأنّ الله أكبر (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) لأنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله مذكّر وليس بمسيطر.

يقول الطبري: (وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لا تلبس ثيابك على معصية، ولا على غدر.

حدثنا أبو كريب: قال: ثنا مُصْعَبُ بن سلام، عن الأجلح، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: أتاه رجل وأنا جالس فقال: رأيت قول الله: (وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ) قال: لا تلبسها على معصية ولا على غدر.

حدثنا سعيد بن يحيى، قال: ثنا حفص بن غياث، عن الأجلح، عن عكرمة، قوله: (وَتِيَابِكَ فَطَهِّرْ) قال: لا تلبسها على غدر، ولا على فجرة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا سفيان، عن الأجلح بن عبد الله الكندي، عن عكرمة (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: لا تلبس ثيابك على معصية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: من الذنوب.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تلبس ثيابك من مكسب غير طيب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثنا أبي، قال: ثنا عمي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن ابن عباس (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب، ويقال: لا تلبس ثيابك على معصية.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أصلح عملك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: عملك فأصلح.

وقال آخرون في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالوا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: اغسلها بالماء، وطهرها من النجاسة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن أبي طالب، قال: ثنا علي بن عبد الله بن جعفر، عن أحمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ، قال: أخبرنا ابن عون، عن محمد بن سيرين (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: اغسلها بالماء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) قال: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره أن يتطهر، ويطهر ثيابه.

يقول الطبري: وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس، وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عُني به: جسمك فظهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك.

يشير التفسير وما جاء في الأحاديث التي أشار إليها أن المقصود من (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرَ) هو أغسلها بالماء وهو الذي قاله ابن سيرين وابن زيد كما ذكر الطبري ويشير إلى أن ذلك من أظهر معانيه. والذي عليه السلف عُني به: جسمك فظهر من الذنوب؛ وهو الذي قاله ابن عباس وعكرمة وابن زكريا.

إنهم يتحدثون عن النبي كشخص عادي لا كرسول خلت من قبله الرسل. فهو في نظرهم رجل لا يُحسِن نظافة ثيابه حتى يحتاج إلى أن ينيبه إليها الله سبحانه وتعالى بوحى!! وعند بعضهم رجل غير طاهر الجسم من الذنوب والآثام فيخاطبه الله سبحانه بوحى من السماء ليظهر جسمه من الذنوب!!

إنهم يتحدثون عن اختاره الله خاتماً للأنبياء والمرسلين، من أخذ الله العهد والميثاق على الأنبياء للإيمان به، من مدحه بحسن الخلق، ومن صلى عليه هو وملائكته، من كان نبياً و آدم منجدل في طينته، من كان يؤخذ من عرقه لتحسين الطيوب، ومن تجلى المصوّر في بديع إكمال خلقه ظاهراً وباطناً وجعله الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله، يتحدثون عن رسول أتاه الوحي وكان يسلم عليه حجر بمكة قبل نزول الوحي فيقولون أنه كان يحتاج إلى تنظيف ثوبه بالماء وتطهير جسمه بالإقلاع عن الذنوب!! وأن الوحي والرسالة بدأت به لينظف ثيابه المتسخة ويظهر نفسه من الذنوب والآثام!!!

لا أرى ذلك إلا جنوحاً عن الحق وتنكباً للطريق وجهل بكتاب الله الذي لم يدبروا آياته. فالله سبحانه يقول ﴿... وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ...﴾<sup>186</sup> فالتقوى هي أفضل الملبوس وهي نثار النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وهو الرحمة الممدوح بالأخلاق العظيمة فكان كما ذكرنا يميل طبعه إلى التبشير لا إلى الإنذار فطلب منه إضافة الإنذار إلى التبشير ليكسو الجمال التبشيري شيئاً من الجلال الإلهي بالإنذار، فخطب بمجمل صفاته التي اكتسبها من الرحمة وعظمة الأخلاق ولين القلب ب (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) ليضيف الإنذار إلى صفاته (فَمُ قَانَذِرْ) لأن هناك من يحتاج طبعه إلى الإنذار لقساوة فيه، (وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ) ليرتدع من في طبعه تكبر وغلظة (وَتِيَابِكَ فَطَهَّرْ) فملبسك من التقوى وهو الرحمة وعظمة الأخلاق يحتاج أن تكسوه مما يحتاجه البعض من المخاطبة بالإنذار، فعليك أن

تكسو هذا الجمال المحمدي شيئاً من الجلال الإلهي ليكون لباس التقوى في مظهره الأتم فكن بشيراً ونديراً. تعالى الله أن يرسل رسولاً كما يقولون لم يكن يُحسِن تنظيف ملابسه من النجاسة، ولم يكن جسمه طاهراً من الذنوب وكان ينام في القטיפه!!!

إنَّ الله سبحانه يصف عباده الصالحين بقوله (كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ) 187 فكيف يكون خاتم المرسلين؟ لقد شهد الله له بأنه يقوم (... أَذْنَى مِنْ ثُلثِي اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ...) 188 فكيف يأتيه الوحي وهو نائم؟ لأنهم يقولون إن كان صاحياً فإنه يقضي الليل طائفاً على نسائه بغسل واحد!! ثم يقولون إنّه كان ينام عن صلاة الفجر حتى يأتيه بلال ليصرخ عند بابه ب "الصلاة خير من النوم" ليذكّره بأداء رسالته!!! ثم ماذا كان يرجو من اختلائه في غار حراء؟ ألم يكن الحق مطلبه؟ فكيف يخاف ممن كان يرجو؟ وهو القائل "كنت نبياً وآدم منجبل في طينته" 189 وقبل نزول الوحي كانت حجارة في غار حراء هي دناره وهو الذي كان يعلم أنّ حجراً بمكة كان يرد عليه السلام!!! أيريدون أن يقولوا في تفسيرهم أنّ اختلاء النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله خمسة عشر عاماً في حراء يعبد الله لم يجن منها سوى اتساخ ثيابه وامتلاء جسمه الشريف بالذنوب لينزل عليه الوحي يأمره بتطهير جسمه من الذنوب وثيابه من الأوساخ!؟

187 سورة الذاريات: 17

188 سورة المزمل: 20

189 مسند أحمد

## مشيئة الله ومشية رسوله

قال تعالى :

(وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۗ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ  
وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا) 190

يقول الطبري: القول في تأويل قوله تعالى : إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ  
وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا  
وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث  
من الأمور أنه كائن لا محالة، إلا أن يصله بمشيئة الله، لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله.

وإنما قيل له ذلك فيما بلغنا من أجل أنه وعد سائليه عن المسائل الثلاث اللواتي قد  
ذكرناها فيما مضى اللواتي، إحداهن المسألة عن أمر الفتية من أصحاب الكهف أن يجيبهم  
عنهن غد يومهم، ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة،  
حتى حزنه إبطاؤه، ثم أنزل الله عليه الجواب عنهن، وعرف نبيه سبب احتباس الوحي  
عنه ، وعلمه ما الذي ينبغي أن يستعمل في عاداته وخبره عما يحدث من الأمور التي لم  
يأتها من الله بها تنزيل، فقال: وَلَا تَقُولَنَّ يَا مُحَمَّدٌ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا كَمَا قُلْتَ لَهُؤُلَاءِ  
الَّذِينَ سَأَلُوكَ عَنْ أَمْرِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، والمسائل التي سألوها عنها، سأخبركم عنها غدا(إلا  
أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ). ومعنى الكلام: إلا أن تقول معه: إن شاء الله، فترك ذكر تقول اكتفاء بما ذكر  
منه، إذ كان في الكلام دلالة عليه، وكان بعض أهل العربية يقول: جائز أن يكون معنى  
قوله: (إلا أن يشاء الله) استثناء من القول، لا من الفعل كأن معناه عنده: لا تقولن قولا إلا  
أن يشاء الله ذلك القول، وهذا وجه بعيد من المفهوم بالظاهر من التنزيل مع خلافه تأويل  
أهل التأويل.

وقوله: (وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) اختلف أهل التأويل في معناه، فقال بعضهم: واستثن  
في يمينك إذا ذكرت أنك نسيت ذلك في حال اليمين.

ذكر من قال ذلك:



حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، في قوله وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ الاستثناء، ثم ذكرت فاستثنى.

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، في قوله: (وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال: بلغني أن الحسن، قال: إذا ذكر أنه لم يقل: إن شاء الله، فليقل: إن شاء الله. وقال آخرون: معناه: واذكر ربك إذا عصيت.

ذكر من قال ذلك:

حدثني نصر بن عبد الرحمن، قال: ثنا حكام بن سلم، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة، في قول الله: (وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ) قال: اذكر ربك إذا عصيت.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن أبي سنان، عن ثابت، عن عكرمة، مثله.

وأولى القولين في ذلك بالصواب، قول من قال: معناه: واذكر ربك إذا تركت ذكره.

وقوله: (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا) يقول عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: قل ولعل الله أن يهديني فيسددني لأسد مما وعدتكم وأخبرتكم أنه سيكون، إن هو شاء.

وقد قيل: إن ذلك مما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقوله إذا نسي الاستثناء في كلامه، الذي هو عنده في أمر مستقبل مع قوله: إن شاء الله، إذا ذكر.

ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، عن أبيه، عن محمد، رجل من أهل الكوفة، كان يفسر القرآن، وكان يجلس إليه يحيى بن عباد، قال: وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا قال فقال: وإذا نسي الإنسان أن يقول: إن شاء الله، قال: فتوبته من ذلك، أو كفارة ذلك أن يقول: (عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبٍ مِنْ هَذَا رَشَدًا).

يقول الطبري: (وهذا تأديب من الله عز ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عهد إليه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله).

إنّ الذي يفسّر ما أنزل الله على نبيه وحببيه الذي يصلي عليه بأنه تأديب له، هو الذي يحتاج إلى التأديب. لأنه يدّعي شرح مراد الله في تنزيله في غير ما قاله تعالى، كأنه العليم بمراد الله في فعله فيما لم يقله. وبينى استنتاجه على أنّ الله عهد إلى نبيه أن لا يجزم على ما يحدث من الأمور أنه كائن لا محالة إلا أن يصله بمشيئة الله لأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله. والعجب أن يعلم الطبري أنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله ويظن أنّ ذلك غاب عن رسول الله!!! وقد ثبت أنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في معركة بدر حدد مصارع بعض الكفار دون أن يقول إن شاء الله. وعين أناساً من أهل الجنة وأناساً من أهل النار ولم يستثن فالأمر ليس كما يزعمون ويتكلمون كأنهم أعلم من رسول الله الذي جهل في نظرهم ما علموه هم من الرسالة. لقد ذكرت آنفاً أنّ من يدّعي تفسير القرآن دون رؤية محبة الله لرسوله فقد ضل سواء السبيل. وهذه الآية تدل على ذلك. فإله سبحانه يحب رسوله وما أنزل عليه القرآن ليشقيه بل ليرضيه، ﴿... لَعَلَّكَ تَرْضَى...﴾ فبين له في هذه الآية أن لا يقيد نفسه في الفعل بزمن معين؛ وليقل إن شاء الله حتى تكون المشيئة مرتبطة بفعله فمتى فعل ذلك فهي المشيئة الإلهية ﴿... وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى...﴾<sup>191</sup>. فالقول بالمشيئة ليس تأديباً كما يقول الطبري وإنه من شنيع القول أن يصف ما أنزل الله على رسوله تأديباً له ويقول هذا مراد الله من الآية ويتهم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالقصور في العلم بأنه لا يكون شيء إلا بمشيئة الله. فأين موقع هذه الكلمة "تأديباً" للحبيب؟ فالآية ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَا \* إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ...﴾<sup>192</sup> ليست تأديباً لمن مدحه وصلى عليه ويعطيه حتى يرضيه بل حباً فيه حتى لا يقيد نفسه بزمن فالمشيئة تعطيه ما شاء من الزمن فمتى فعل في أي زمن شاء فهي مشيئة الله. ﴿... فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا...﴾<sup>193</sup>. ولكنها نظرة عقيمة وفهم سقيم لكلام عظيم من رب ودود لحبيب الأزل والرحمة والأمل صلى الله عليه الذي أنزله إليه.

أما قوله "فاحتبس الوحي عنه فيما قيل من أجل ذلك خمس عشرة، حتى حزنه إبطؤه" رواية مصدرها (فيما قيل)!!! فمن الذي يتكلم عن حزن النبي وأحاسيسه وعدد أيام غياب الوحي عنه؟؟ وهل يكون المصدر في مثل هذا غير النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ وهل أسند الحدث إليه أم اختلقوه؟ بل اختلقوا القصة بأكملها ليقزموا الآية على أمر معين لتكون محصورة على عتاب الله للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ويكون قد انتهى أمرها بما قيدها به فيما حدث من أمر في زمن معين حتى يبعدها عن

191 سورة الأنفال: 17

192 سورة الكهف: 23-24

193 سورة الطور: 48

حب الله لنبيه بإعطائه المشيئة في فعله ﴿...إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾<sup>194</sup> وليبعدوا الناس عن فهم الآية حتى يغيب عنهم قوله تعالى ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>195</sup> و ﴿...أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾<sup>196</sup>. فلا تجد أحداً -لسوء ما جاء في هذا التفسير- يفكر في أن الله سبحانه أعطى بهذه الآية نبيه الأعظم عدم التقيد بالزمن في الفعل. فالحق فيما تعنيه هذه الآية هو جعل مشيئة الله مرتبطة بفعل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله فمتى فعل النبي شيئاً فتلك مشيئة الله. وهي دلالة على حب الله لرسوله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله.

---

194 سورة الأنعام: 50

195 سورة النجم: 3

196 سورة آل عمران: 86

## ولا تحزن عليهم

قال تعالى : ( لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ )<sup>197</sup>

تفسير الطبري: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا تتمنين يا محمد ما جعلنا من زينة هذه الدنيا متاعا للأغنياء من قومك، الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، يتمتعون فيها، فإن من ورائهم عذابا غليظا (وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ) يقول: ولا تحزن على ما مُتّعوا به فعجل لهم. فإن لك في الآخرة ما هو خير منه، مع الذي قد عَجَّلنا لك في الدنيا من الكرامة بإعطائنا السبع المثاني والقرآن العظيم، يقال منه: مَدَّ فلانُ عينه إلى مال فلان: إذا اشتهاه وتمناه وأراده.

وذكر عن ابن عيينة أنه كان يتأول هذه الآية قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَعَنَّ بِالْقُرْآنِ" أي من لم يستغن به، ويقول: ألا تراه يقول: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ \* لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ فَأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال، قال: ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن، فرأى أن أحدا أعطي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيرا وصغر عظيمًا.

وبنحو الذي قلنا في قوله (أَزْوَاجًا) قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء، وحدثني المثنى، قال: ثنا أبو حذيفة، قال: ثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) : الأغنياء الأمثال الأشباه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله (لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) قال: نُهِيَ الرَّجُلُ أَنْ يَتَمَنَّى مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ: وَمَنْ يَتَمَنَّأْ بِمَا لَمْ يَكُنْ لَهُ، يَكْفُرْ بِهِ. (سورة النحل: 103)

وقوله (وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وَأَلِنْ لِمَنْ آمَنَ بِكَ، وَاتَّبِعْكَ وَاتَّبَعَ كَلَامَكَ، وَقَرِّبْهُمْ مِنْكَ، وَلَا تَجْفُ بِهَمْ، وَلَا تَغْلُظْ عَلَيْهِمْ، يَا مَرْءَ اللَّهِ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ بِالرَّفْقِ بِالْمُؤْمِنِينَ، وَالْجَنَاحَانِ مِنْ بَنِي آدَمَ: جَنَابَهُ، وَالْجَنَاحَانِ: النَّاحِيَتَانِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ وَاضْمُ يَدِكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ قِيلَ: مَعْنَاهُ: إِلَىٰ نَاحِيَتِكَ وَجَنَبِكَ.

الطبري يفسر كلام الله بما فهمه هو منه، أي أنه يوضح مراد الله الذي لم يوضحه الله للناس كما يقول الطبري لا في قرآنه ولا عن طريق رسوله!! فيذهب إلى اتهام النبي بأنه تمنى أن يكون له مال مثل احد الأغنياء من قومه!!! وحزن على ما مُتَّعُوا بِهِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَتَاعٌ مِثْلَهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ يَقُولُ لَهُ (فَإِنَّ لَكَ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ مَعَ الَّذِي عَجَّلْنَا لَكَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكِرَامَةِ بِإِعْطَائِنَا السَّبْعَ الْمِثْلَانِ وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ). وجاء بحديث ابن عيينة ليقول فأمره بالاستغناء بالقرآن عن المال. وقال ومنه قول الآخر: من أوتي القرآن ورأى أن أحداً أوتي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر عظيمًا.

وأقول ما من مسلم إلا ويعلم أن النبي صلى الله عليه ووالديه وآله عرض عليه قومه في بداية الدعوة أن يكون أكثرهم مالاً فرفض ذلك لقيمة ما عنده من الله، فهل شك بعد ذلك في ما عنده ليتمنى المال بدلاً عنه؟ وهل يحزن على أن أناساً من أمته عندهم من المال ما ليس عنده حتى يوحي الله إليه بما يراه الطبري إن له في الآخرة خيراً من ذلك وأنه أعطاه في هذه الدنيا السبع المثاني؟

إنّ هذا التفسير يشير إلى تبين الطبري لمراد الله من كلامه كأن الله سبحانه أنزل قرآناً غير مفهوم المعنى للناس!! ويجيء المفسرون ليبيّنوا للناس ما وراء الآيات مما يرون من فهمهم لها فيسيئون إلى أنفسهم بما يقولون من أمور لا تليق بالجناب المحمدي المعصوم، وذلك لأنهم لا يتكلمون عن حبيب الله بل عن أنفسهم في معرفة اللغة وادعاء معرفة ما وراء النص!!! لأنه لا يوجد مبرر لما ذهبوا إليه من أن محمداً صلى الله عليه ووالديه وآله يتمنى أن يكون أحد الأغنياء وهم يعلمون أنه رفض أن يكون أغنى الناس حينما عرض عليه قومه ذلك لأن الدين لا يقوم على مال ولا سلطان. ويقولون في تفسيرهم (من أوتي القرآن ورأى أن أحداً أوتي أفضل مما أعطي فقد عظم صغيراً وصغر

عظيماً). فهل يوصف رسول الله بهذا؟ وأتته حزن لأتته لم يعط من المال مثل ما أعطي الأغنياء من قومه حتى يقول الله له إن لك في الآخرة أعظم من ذلك كما أعطيناك هنا في الدنيا السبع المثاني؟ ألا يعني هذا المسمى تأويلاً أو تفسيراً للقرآن أن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يميل إلى حب الدنيا وزخرفها لدرجة أنه يحزن لما يرى لغيره من المال ما ليس له!!! أهكذا يعرف المسلمون رسول الله؟

والآيات لا تحتاج إلى تفسير لأنها أوضح ما يكون، فالله سبحانه وتعالى لم يكلف رسوله بغير البلاغ، ولكن الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنه رحمة مهداة بدر منه الحرص على هداية الخلق حتى أنسه الله سبحانه بألا يُشقي نفسه في تبليغ الرسالة (طه \* مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى) 198 وقال له (إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ...) 199 ولكنه صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لرقعة قلبه الرؤوف الرحيم يحزن حينما يرى بعض الناس قد انهمكوا في المتع الحسية والترف والترفع على الضعفاء، فحزنه عليهم لانحرافهم لحبهم للدنيا والمتع الحسية وليس حزنه لأنه لم يكن مثلهم. فحاشا رسول الله أن يوصف بذلك. وقد قال باب مدينة العلم علي عليه السلام "من أتى غنياً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه". وما أنزل الله تعالى على النبي هذه الآيات إلا مواساة له ليحوّل نظره عما يحزنه من سوء ما يرى من فعل الأغنياء، إلى أولئك المؤمنين؛ فإنّ نظره إلى المؤمنين يجلب السرور له ويذهب عنه الحزن الذي يشعر به حين ينظر إلى المنشغلين بالدنيا وزخرفها عن الدين، وعن ما جاء به من الله لإسعادهم دنيا وأخرى. فكيف يفسرون حزنه عليهم بأنه حزنٌ على حاله إذ لم يكن مثلهم!!!! فالحزن حقيقة عندي هو على هؤلاء الذين يدعون التفسير فيما اكتسبوا من إثم فيما نسبوه إلى خير خلق الله في صفاته وذاته الشريفة. وأرجو أن تدركهم الشفاعة إذا انعدم عندهم سوء القصد. فالنبي حلیم وهو رؤوف رحيم.

198 سورة طه: 1-2

199 سورة النحل: 37

## قال أولم تؤمن؟

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۗ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ ۗ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي ۗ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا ۗ وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>200</sup>

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي} يعني تعالى ذكره بذلك: ألم تر إذ قال إبراهيم رب أرنني. وإنما صلح أن يعطف بقوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ} على قوله: {أَو كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} وقوله: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ} لأن قوله: {أَلَمْ تَرَ} ليس معناه: ألم تر بعينيك، وإنما معناه: ألم تر بقلبك، فمعناه: ألم تعلم فتذكر، فهو وإن كان لفظه لفظ الرؤية فيعطف عليه أحيانا بما يوافق لفظه من الكلام، وأحيانا بما يوافق معناه.

يقول الطبري: واختلف أهل التأويل في سبب مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى؟ فقال بعضهم: كانت مسألته ذلك ربه، أنه رأى دابة قد تقسمتها السباع والطير، فسأل ربه أن يريه كيفية إحيائه إياها مع تفرق لحومها في بطون طير الهواء وسباع الأرض ليرى ذلك عيانا، فيزداد يقينا برويته ذلك عيانا إلى علمه به خيرا، فأراه الله ذلك مثلا بما أخبر أنه أمره به.

ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر بن معاذ، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ} ذكر لنا أن خليل الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم أتى على دابة توزعتها الدواب والسباع، فقال: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي}. ولم يذكر من ذكر لهم ذلك.

حدثنا عن الحسن، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ} قال: مر إبراهيم على دابة ميت قد بلي وتقسمته الرياح والسباع، فقام ينظر، فقال: سبحان الله، كيف يحيي الله هذا؟ وقد علم أن

الله قادر على ذلك، فذلك قوله: {رب أرني كيف تحيي الموتى} . ولم يذكر الضحاك من أين له القصة.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، قال: قال ابن جريج: بلغني أن إبراهيم بينا هو يسير على الطريق، إذا هو بجيفة حمار عليها السباع والطيور قد تمزعت لحمها وبقي عظامها. فلما ذهبت السباع، وطارت الطيور على الجبال والآكام، فوقف وتعجب ثم قال: رب قد علمت لتجمعنها من بطون هذه السباع والطيور {رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى} ولكن ليس الخبر كالمعاينة. فمن أين بلغ ابن جريج ذلك؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: مر إبراهيم بحوت نصفه في البر، ونصفه في البحر. وكذلك لا تُعرف مرجعية القصة. فمنهم من قال أنه وجد حماراً ميتاً ومنهم من قال دابة ومنهم من قال حوتاً فالقصة لا يوجد لها ما يوثقها!!

وقال آخرون: بل كان سبب مسألته ربه ذلك، المناظرة والمحاجة التي جرت بينه وبين نمرود في ذلك. ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، قال: لما جرى بين إبراهيم وبين قومه ما جرى مما قصه الله في سورة الأنبياء، قال نمرود فيما يذكرون لإبراهيم: أرأيت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته وتذكر من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو؟ قال له إبراهيم: ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود: أنا أحيي وأميت. فقال له إبراهيم: كيف تحيي وتميت؟ ثم ذكر ما قص الله من محاجته إياه. قال: فقال إبراهيم عند ذلك: {رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} من غير شك في الله تعالى ذكره ولا في قدرته، ولكنه أحب أن يعلم ذلك وتاق إليه قلبه، فقال: ليطمئن قلبي، أي ما تاق إليه إذا هو علمه. وهذان القولان، أعني الأول وهذا الآخر، متقاربا المعنى في أن مسألة إبراهيم ربه أن يريه كيف يحيي الموتى كانت ليرى عيانا ما كان عنده من علم ذلك خيرا.

وقال آخرون: بل كانت مسألته ذلك ربه عند البشارة التي أتته من الله بأنه اتخذه خليلا، فسأل ربه أن يريه عاجلا من العلامة له على ذلك ليطمئن قلبه بأنه قد اصطفاه لنفسه خليلا، ويكون ذلك لما عنده من اليقين مؤيدا. ذكر من قال ذلك: حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قال: لما اتخذ الله إبراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه أن يأذن له أن يبشر إبراهيم بذلك، فأذن له، فأتى إبراهيم وليس في البيت فدخل داره، وكان إبراهيم أغير الناس، إن خرج أغلق الباب؛ فلما جاء وجد في داره رجلا،



فثار إليه ليأخذه، قال: من أذن لك أن تدخل داري؟ قال ملك الموت: أذن لي رب هذه الدار، قال إبراهيم: صدقت! وعرف أنه ملك الموت، قال: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت جنتك أبشرك بأن الله قد اتخذك خليلاً. فحمد الله وقال: يا ملك الموت أرني الصورة التي تقبض فيها أنفاس الكفار. قال: يا إبراهيم لا تطيق ذلك. قال: بلى. قال: فأعرض! فأعرض إبراهيم ثم نظر إليه، فإذا هو برجل أسود تنال رأسه السماء يخرج من فيه لهب النار، ليس من شعرة في جسده إلا في صورة رجل أسود يخرج من فيه ومسامعه لهب النار. فغشي على إبراهيم، ثم أفاق وقد تحول ملك الموت في الصورة الأولى، فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الكافر عند الموت من البلاء والحزن إلا صورتك لكفاه، فأرني كيف تقبض أنفاس المؤمنين! قال: فأعرض! فأعرض إبراهيم ثم التفت، فإذا هو برجل شاب أحسن الناس وجهاً وأطيبه ريحاً، في ثياب بيض، فقال: يا ملك الموت لو لم يكن للمؤمن عند ربه من قرة العين والكرامة إلا صورتك هذه لكان يكفيه. فانطلق ملك الموت، وقام إبراهيم يدعو ربه يقول: {رب أرني كيف تحيي الموتى} حتى أعلم أنني خليك {قال أولم تؤمن} بأني خليك، يقول تصدق، {قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} بخلولتك.

وهذا الحديث المروي عن السدي لم يذكر مصدره كما أنه حكى أن إبراهيم كان غير الناس فهو يحدث عما في نفس إبراهيم عليه السلام ويحكي عما دار بين إبراهيم عليه السلام والملك ويروي كلام إبراهيم ورد الملك عليه فهل كان حاضراً شاهداً على ذلك؟ أم أسند القول لإبراهيم عليه السلام؟! فكيف الوثوق بمثل هذه الروايات؟

حدثنا أحمد بن إسحاق، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن سعيد بن جبير: {ولكن ليطمئن قلبي} قال: بالخلة. وقال آخرون: قال ذلك لربه لأنه شك في قدرة الله على إحياء الموتى. ذكر من قال ذلك: حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن أيوب في قوله: {ولكن ليطمئن قلبي} قال: قال ابن عباس: ما في القرآن آية أرجى عندي منها. حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت زيد بن علي يحدث عن رجل، عن سعيد بن المسيب، قال: أتعد عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمرو أن يجتمعا، قال: ونحن يومئذ شبية، فقال أحدهما لصاحبه: أي آية في كتاب الله أرجى لهذه الأمة؟ فقال عبد الله بن عمرو {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم} حتى ختم الآية، فقال ابن عباس: أما إن كنت تقول إنها، وإن أرجى منها لهذه الأمة قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم {رب أرني كيف تحيي الموتى} قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: سألت عطاء بن أبي رباح، عن قوله: {وإذ قال إبراهيم رب

أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي { قال: دخل قلب إبراهيم بعض ما يدخل قلوب الناس، فقال: {رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى .. قال فخذ أربعة من الطير { ليديه.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قالاً: ثنا سعيد بن تليد، قال: ثنا عبد الرحمن بن القاسم، قال: ثني بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال: رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن؟ قال بلى ولكن ليطمئن قلبي". حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس عن ابن شهاب وسعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فذكر نحوه.

يقول الطبري: وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى أنه قال، وهو قوله: "نحن أحق بالشك من إبراهيم، قال رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن" وإن تكون مسألته ربه ما سأله أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه، كالذي ذكرنا عن ابن زيد أنفاً من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء، ألقى الشيطان في نفسه فقال: متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء؟ فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى ليعاين ذلك عياناً، فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى فيه عند رؤيته ما رأى من ذلك، فقال له ربه: {أولم تؤمن} يقول: أولم تصدق يا إبراهيم بأني على ذلك قادر؟ قال: بلى يا رب، لكن سألتك أن تريني ذلك ليطمئن قلبي، فلا يقدر الشيطان أن يلقي في قلبي مثل الذي فعل عند رؤيتي هذا الحوت.

الأحاديث السابقة لهذا الحديث هي قصص لا يوجد ما يثبت صحتها. أما الحديث الذي ذكره أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وبارك عليه ووالديه وآله هو الذي اعتمده الطبري في تفسير الآية ليقول لنا إن أبا الأنبياء إبراهيم عليه السلام شك في قدرة الله في إحياء الموتى وأن تكون مسألته أن يريه من إحياء الموتى لعارض من الشيطان عرض في قلبه يقول كالذي ذكرنا عن ابن أبي زيد أنفاً من أن إبراهيم لما رأى الحوت الذي بعضه في البر وبعضه في البحر قد تعاوره دواب البر ودواب البحر وطير الهواء ألقى الشيطان في نفسه فقال متى يجمع الله هذا من بطون هؤلاء فسأل إبراهيم حينئذ ربه أن يريه كيف يحيي الموتى فيعاين ذلك عياناً فلا يقدر بعد ذلك الشيطان أن يلقي في قلبه مثل الذي ألقى عند رؤيته ما رأى من ذلك.

ما المستفاد من هذا التفسير غير الشك في إيمان النبي إبراهيم عليه السلام؟ والطامة الكبرى هي ما يقال لنا إن خاتم الأنبياء والمرسلين الذي أخذ الله العهد على الأنبياء للإيمان به بما فيهم إبراهيم عليه السلام وهو الذي يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين يريدون منا أن نصدق ما نسبوه إليه في أنه أحق بالشك في قدرة الله في إحياء الموتى من إبراهيم عليه السلام. فماذا بقي من الدين لمن يقول بذلك؟ وكيف يكون حال من أرسل إليهم رسول يشك في قدرة الله في إحياء الموتى؟ أيقول لهم أي رسول الله إليكم ولكني أشك في قدرته تعالى في إحياء الموتى!!! إن هذا التفسير يدعو الناس إلى الشك في المرسل ليقولوا له (... لَسْتُ مُرْسَلًا...) 201 بل هو دعوة ليقول الناس للمرسل (... لَسْتُ مُرْسَلًا...) لأن من يشك في قدرة الله هو كذلك. فإذا صدق الناس هذا التفسير فقد قالوا ذلك وإن لم ينطقوا بها. (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتُ مُرْسَلًا...) 202.

هذه الآية في الحقيقة لا تحتاج إلى تفسير فسؤال إبراهيم عليه السلام هو عن كيفية إحياء الموتى؛ ولو كان لديه شك في إحياء الموتى لما سأل عن الكيفية. فلا يوجد أي مجال للشك لينسب إلى إبراهيم عليه السلام، لأن السؤال عن الكيفية يدل على الإيمان بما يراد معرفة كيفيته. والعلم بالكيفية يُعلم بالممارسة فأطلعه الله على الكيفية بأن باشرها بنفسه حيث جعل في كل جبل جزءاً من الطيور الأربعة المختلفة ثم دعاهن فأتته بما قام به من دعاء فعرف كيفية إحياء الموتى. وإحياء الموتى أمر لا يتعسر على من هو في مقام الخلقة. ولذلك كان سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى سؤالاً عن أمر يعرفه بالضرورة من هو في هذا المقام. لذلك جاءته الموانسة الإلهية (... أَوْلَمْ تُؤْمِنُ...) وأنت الخليل بمعنى أن الخليل يعرف كيفية إحياء الموتى فقد كان عيسى عليه السلام يُحيي الموتى فكانت إجابته عليه السلام بقوله (... بَلَى...) أي أنه لا شك عندي ومؤمن بذلك ولكن أردت منك تأييداً إلهياً. وهذه من باب:

نحن أدرى وقد سألنا بنجد أقصير طريقنا أم طويل

وكثير من السؤال اشتياق وكثير من رده تعليل

والعجب؛ رغم أنه لا يوجد في الآية ما يشير إلى الشك أصلاً، نجدهم ينسبون حديثاً إلى خاتم الرسل بأنه أحق بالشك من إبراهيم!!! وهو الذي جاءنا من الله بقرآن يثبت إحياء عيسى عليه السلام للموتى فكيف يشك في إحياء الله للموتى!!!

201 سورة الرعد: 43

202 سورة الرعد: 43

إنّ الذي يدّعي تفسير القرآن يُفترض فيه حفظه للقرآن وإن جهل التدبر فيه. والطبري في تفسيره لهذه الآية ينبغي أن يكون مُلمّاً بأنّ القرآن ورد فيه أنّ عيسى عليه السلام كان يُحيي الموتى وإذا كان مُلمّاً بها فكيف به القول بأنّ إبراهيم أبا الأنبياء عليه السلام كان يشك في قدرة الله في إحياء الموتى؟ وكيف به يصف محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بأنّه أولى بالشك من إبراهيم عليه السلام في قدرة الله في إحياء الموتى، وهو الذي أنزل عليه القرآن الذي يثبت لعيسى عليه السلام إحياء الموتى؟ ولعل كل القصص التي ذُكرت في هذا الأمر من ميتة الحوت والدواب ونهش الطير والسباع لها إنما قُصد بها الوصول لقولهم إنّ إبراهيم شك في قدرة الله تعالى إحيائه الموتى؛ ومن ذلك ليصلوا إلى غايتهم في محاولة إثبات الشك عند أفضل رسل الله الذي أمر الأنبياء بالإيمان به، الذي يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين والذي يُصلي عليه الله...!!! والله المستعان.

## ولا تصلّ على أحد منهم

قال تعالى : ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾<sup>203</sup>

القول في تأويل قوله : وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ. قال أبو جعفر: يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تصلّ، يا محمد، على أحد مات من هؤلاء المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج معك أبداً = (ولا تقم على قبره)، يقول: ولا تتولّ دفنه وتقبيره.

(إنهم كفروا بالله)، يقول: إنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله وماتوا وهم خارجون من الإسلام، مفارقون أمر الله ونهيه.

وقد ذكر أنّ هذه الآية نزلت حين صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثني، وسفيان بن وكيع، وسوار بن عبد الله قالوا: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبيد الله قال، أخبرني نافع، عن ابن عمر قال: جاء ابن عبد الله بن أبي ابن سلول إلى رسول الله حين مات أبوه فقال: أعطني قميصك حتى أكفنه فيه، وصلّ عليه، واستغفر له. فأعطاه قميصه، وقال له: وإذا فرغتم فأذنوني. فلما أراد أن يصلي عليه، {جذبه} عمر، (28) وقال: أليس قد نهاك الله أن تُصَلِّيَ على المنافقين؟ فقال: بل خيرني وقال: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، قال: فصلي عليه. قال: فأنزل الله تبارك وتعالى: (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ)، قال: فترك الصلاة عليهم.

في هذا الحديث يذكر أنّ الرسول صلى الله عليه ووالديه وآله أعطى قميصه لابن عبد الله بن أبي ليكفن فيه أباه وقال له: فإذا فرغتم فأذنوني، بقصد الصلاة عليه والاستغفار. وفي الحديث أنّ عمر جذب النبي حين أراد أن يصلي عليه معترضاً وقال

للنبي: أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين. وهذا يدل على أن عمر استند إلى الآية (وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ...) قال: فترك الصلاة عليهم. فهل الآية أنزلت قبل الصلاة أم بعد الصلاة!!!

معلوم أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يأمر بمعصية فكيف يفعلها بنفسه؟ أليس ذلك اتهام للنبي من عمر ومن يصدق في هذا الحديث حسبما رووا؟ وإذا كان الله سبحانه قد نهى النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله عن هذا الفعل تحديداً فهل يكون عمر أكثر حرصاً منه على اتباع أوامر الله سبحانه وعلى الشريعة التي جاء بها؟ وهل يحق له اعتراض النبي؟ ناهيك عن جذبه وهو أمر لا يمكن أن يصدر في مواجهة وزير أو ملك ناهيك عن أفضل رسل الله الذي أمر الله سبحانه المسلمين بالأدب معه حتى لا يخاطبونه كما يخاطبون بعضهم بعضاً وإلا كان جزاء ذلك إحباط الأعمال بل جعل المغفرة والأجر العظيم لمجرد الذين يعضون أصواتهم عند رسول الله قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى َ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ) 204 فالاعتراض على الرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله يُخرج المرء عن دائرة الإسلام لقوله تعالى (... فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) 205 وقوله تعالى (وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) 206 وقال تعالى (... لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...) 207 فالمطلوب هو التسليم لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ولقد أساءوا إلى عمر كثيراً فيما نسبوه إليه في هذا الحديث في جذب النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأن جذب المرء من ثوبه يدل على الاستخفاف به وعدم احترامه وهو غاية في سوء الأدب ولا يمكن صدوره من صحابي يعلم أن الله فرض على المسلمين توقيير النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في قوله تعالى (... وَتَعَزَّوهُ وَتُقِرُّوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) 208. والسؤال بهذه الصيغة فيه تجهيل للمخاطب وتصغير واستخفاف بما عنده من علم: "أليس قد نهاك الله أن تصلي على المنافقين". وإن قيل بل قصد به التذكير فذلك أيضاً يدل على اتهام للنبي بالنسيان لما أرسل

204 سورة الحجرات: 2-3

205 سورة النور: 63

206 سورة النور: 56

207 سورة الحجرات: 1

208 سورة الفتح: 9

به أو عدم الاهتمام به. فهل كان عمر كذلك؟ والغريب في الحديث أنه يذكر أن الآية التي استند عليها عمر نزلت بعد الصلاة فهل نزلت مرتان؟

وقول النبي "فإذا فرغتم فأذنوني" يدل على نية النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في الصلاة عليه. ومحال أن ينوي النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على ارتكاب مخالفة لربه ويفعل غير ما أمر به لقوله تعالى ﴿... إِنَّ اتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾<sup>209</sup>. وجاء في الحديث أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله رد على عمر بقوله "بل خيرني وقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم". ومعلوم أن الصلاة شيء والاستغفار شيء آخر فكيف يكون الرد خلافاً لما كان السؤال عنه؟ ولماذا هذا الخلط؟ فإن الاستغفار المذكور في كتاب الله أو عدمه يخص المنافقين الذين يلمزون الناس في الصدقات. ومنع الصلاة على المنافقين يخص الذين لم يخرجوا مع المسلمين للقتال وتخلفوا عن رسول الله. ولم يُذكر أن ابن سلول كان من الذين يلمزون الناس في الصدقات ولا من الذين تخلفوا عن الخروج للقتال بل نسبوا إليه قوله "لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل" وهذا يدل على أنه كان من الذين خرجوا من المدينة للحرب مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. أضف إلى ذلك أنه كسا العباس قميصه حين رأى العباس وقد تمزق قميصه في الحرب. وإذا قيل أن مقالته هذه كافية لجعله من المنافقين فالحكم لرسول الله وليس لهم وأما بمن قصد بمقولته تلك فهذا أمر في نيته هو ولا يطّلع عليه إلا الله سبحانه وتعالى وما ينبغي لهم أن يقولوا قصد بها رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ولكنهم يدعون معرفة ما في نفوس الناس ليحكموا عليهم بالباطل!!

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا أبو أسامة، عن عبيد الله، عن ابن عمر قال: لما توفي عبد الله بن أبي ابن سلول جاء ابنه عبد الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه، فقام عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأخذ بثوب النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: ابن سلول أتصلي عليه، وقد نهاك الله أن تصلي عليه؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنما خيرني ربي، فقال: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، وسأزيد على سبعين. فقال: إنه منافق! فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره).

هذا الحديث لا يخالف ما قبله فيما نُسب للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه في قوله " إنما خيّرني ربّي، فقال: استَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، إلا في عبارة وسأزيد على سبعين. فقال عمر: إنه منافق". ورغم أنّ الإجابة بالاستغفار لا علاقة لها بالصلاة وهو ما يوضح عدم صحة الحديث لأنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يرد إلا عما سئل عنه وهو الصلاة لا الاستغفار. وترد عبارة "وسأزيد على السبعين" فما المراد بها؟ هل هو تقدير النبي لابن سلول أم قصد بها مخالفة النبي عمداً للأمر الإلهي إن كان هناك أمر إلهي؟ ثم يأتي قول عمر "إنّه منافق" وعمر نفسه كان يسأل حذيفة عن نفسه هل هو من المنافقين؟ فإن كان لا يعلم نفسه أهو منهم أم لا فكيف يتعدى علمه علم النبي بالمنافقين ويجذبه من ثوبه ويقول هذا منافق وقد منعك الله من الصلاة عليه؟! فهل هناك من هو موكل بالرسالة ويمكنه التدخل في أداء النبي للرسالة؟ وهل هو القيم على أداء النبي للرسالة؟ فالنبي هو الذي هداه من كفره ودفن ابنته حية إلى الإسلام ولا يتجرأ لمثل ما نسبوه إليه! ولا أرى إلا أنّه بهتان عظيم. ثم يقول الحديث أنّ الآية نزلت بعد أن صلى النبي على ابن سلول!!!!

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال، حدثنا يحيى بن سعيد، عن مجاهد قال، حدثني عامر، عن جابر بن عبد الله: أن رأس المنافقين مات بالمدينة، فأوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يكفن في قميصه، فكفنه في قميصه، وصلى عليه وقام على قبره، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره).

هذا الحديث يدل على أنّ عبد الله بن سلول أوصى أن يصلي عليه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وأن يكفن في قميصه فكفنه النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله في قميصه وصلى عليه وقام على قبره. فأى شرف يطلبه مسلم أكثر من أن يكفنه النبي في قميصه ويصلي عليه ويقوم على قبره؟ إنّ من يُنكر بركة تكفين النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لابن سلول بقميصه وصلاته عليه وقيامه على قبره فهو يُنكر شفاعة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ويتهم النبي بالتقصير في أداء رسالته واتباع الهوى وعدم علمه بالمنافقين وأنّ هناك من هو أعلم منه بهم. ولا أظن أنّ من يعتقد ذلك يكون من المسلمين ولا حظ له في الشفاعة قطعاً.

حدثني أحمد بن إسحاق قال، حدثنا أبو أحمد قال، حدثنا سلمة، عن يزيد الرقاشي، عن أنس: أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يصلي على عبد الله بن أبي ابن سلول، فأخذ جبريل عليه السلام بثوبه فقال: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره).



هذا الحديث يقول أنّ هناك من رأى جبريل يأخذ بثوب النبي وهو يقول "ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره" فمن هذا الذي رأى جبريل وسمعه؟!!!

حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال: جاء النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبيّ وقد أدخل حُفْرَتَهُ، فأخرجه فوضعه على ركبتيه، وألبسه قميصه، وتقل عليه من ريقه، والله أعلم.

هذا الحديث يدل على مكانة عبد الله بن سلول عند النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لدرجة أنّه أخرجه من قبره ووضعه على ركبتيه الشريفتين وألبسه قميصه وتقل عليه من ريقه الشريف... فهل توجد مكرمة أعظم من تلك!! أم يريدون أن يقولوا أنّ فعل النبي كان عبثاً؟

حدثنا ابن حميد قال، حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبد الله بن عباس قال: سمعتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبيّ ابن سلول، دُعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه، فقام إليه. فلما وقف عليه يريد الصلاة، تحوّلتُ حتى قمت في صدره فقلت: يا رسول الله، أتصلي على عدوّ الله عبد الله بن أبيّ، القائل يوم كذا وكذا!! أعدد أيامه، ورسول الله عليه السلام يتبسم، حتى إذا أكثرت عليه قال: أجز عني يا عمر، إني خيّرت فاخترت، وقد قيل لي: استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، فلو أنّي أعلم أنّي إن زدت على السبعين غفر له، لزدت! قال: ثم صلى عليه، ومشى معه، فقام على قبره حتى فرغ منه. قال: فعجبتُ لي وجراتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله ورسوله أعلم. فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان: (ولا تصلّ على أحد منهم مات أبداً)، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق، ولا قام على قبره، حتى قبضه الله.

هذا الحديث يدل على اعتراض عمر على النبي ويحول بينه وبين ما يريد فعله حتى قال له النبي "أجز عني يا عمر". وأنّ القرآن نزل مؤيداً لعمر لا لمن أرسل به!! والله سبحانه يقول (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...<sup>210</sup>) فهل الحق مع الحق أم مع عمر؟ قال تعالى (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)<sup>211</sup>. فإننا نؤمن أنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه

<sup>210</sup> سورة آل عمران: 86

<sup>211</sup> سورة النور: 56

وآله معصوم ولا يخالف ربه ﴿...إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...﴾ وأنَّ عمر رضي الله عنه غير معصوم وعلمه وفعله قاصر عن علم النبي وفعله في كل شيء ويحتاج إلى شفاعته النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. ولا أرى إلا أنهم أساءوا إلى عمر كثيراً فيما نسبوه إليه في هذا الحديث. والآية تنهى عن الصلاة على المنافقين فإن كانت قد نزلت قبل اعتراض عمر للنبي فمن غير المعقول أن يعتمدها عمر ولا يعتمدها النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. جاء ذلك في قول عمر "ألم ينهك ربك أن تصلي على المنافقين" وإن كانت الآية قد نزلت بعد اعتراض عمر كما في هذا الحديث فهي لا علاقة لها بعبد الله بن سلول لنزولها بعده. والقول بأنَّ عمر اعترض على النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله اعتماداً على الآية ثم القول بأنَّ الآية نزلت بعد اعتراض عمر كفيل بالغاء ما جاءوا به من دعوى التفسير.

حدثنا بشر قال، حدثنا يزيد قال، حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)، الآية، قال: بعث عبد الله بن أبيّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض ليأتيه، فنهاه عن ذلك عمر. فأتاه نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم، فلما دخل عليه، قال نبي الله صلى الله عليه وسلم: أهلكك حبُّ اليهود! قال فقال: يا نبي الله، إني لم أبعث إليك لتؤنّبني، ولكن بعثت إليك لتستغفر لي! وسأله قميصه أن يكفن فيه، فأعطاه إياه، فاستغفر له رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فمات فكفن في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونفت في جلده، ودلاه في قبره، فأنزل الله تبارك وتعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً)، الآية. قال: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كلّم في ذلك فقال: وما يغني عنه قميصي من الله، أو: ربي، وصلى عليه، وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه.

كيف بمسلم يؤمن بأنَّ رسول الله حق لا ينطق عن الهوى ولا يتّبع إلا ما يوحى إليه؛ كيف يقبل أن يقال له أن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أراد أن يفعل شيئاً فنهاه عمر؟!؟!؟! فهل عمر هو الوصي على رسول الله في أداء الرسالة؟ والحديث يفيد أن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أتى ابن سلول حينما بعث إليه وقال له "أهلكك حب اليهود!" فقال يا نبي الله إني لم أبعث إليك لتؤنّبني ولكن بعثت إليك لتستغفر لي.

إنه من غير المعقول أن يُنسب إلى صاحب الخلق العظيم تأنيب من هو على فراش الموت والتشفي منه بغليظ القول. والحديث يدل على إيمان ابن سلول بعظمة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وقوله وفعله وقبوله عند الله وحاجته لشفاعته والله سبحانه

يقول ﴿... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾<sup>212</sup>. وما فعله الرسول كما جاء في الحديث يدل على ملاطفة النبي له إذ أعطاه قميصه ونفت في جلده واستغفر له.

وجاء في الحديث: ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كُلم في ذلك فقال: وما يغني عنه قميصي من الله، أو: ربي، وصلى عليه، وإني لأرجو أن يسلم به ألف من قومه.

ما يجب أن يُعرف: من الذي كُلم النبي في ذلك؟ وكأن الكلام كان عتاباً؛ فمن هذا الذي أعلى مرتبة ومقاماً من رسول الله ليرى خطأ في فعل النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ليكلمه فيه حتى يندم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله على فعله؟ من هو الأعم من النبي ليبين للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله خطاه في فعله وعدم جدوى ما يفعله؟! وهل يحق لمسلم أن يقول أن النبي يمكن أن يعمل عملاً عبثاً؟ وهل يجوز لمسلم أن يعتقد أن النبي يمكن أن يعمل عملاً عبثاً؟ إنه اتهام للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بالعبثية في أفعاله وقيامه بأفعال لا قيمة لها بل يعتقدون أنها أفعالاً تطعن في علمه بالدين الذي جاء به!!!

وجاء في الحديث "لأرجو أن يسلم به ألف من قومه". إن النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لا يجامل في الحق وهو الأعم بأن الله سبحانه قال له ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَذَا هُمْ...﴾<sup>213</sup> وهو المعصوم من مخالفة أمر ربه فكيف يصلي على منافق؟ إن من يصلي عليه النبي ليس منافقاً بالتأكيد لأنه الأعم بالمنافقين لتعليم الله له بهم في قوله تعالى ﴿... وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ...﴾<sup>214</sup> فنفي الله سبحانه علم النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بهم ليثبت له علم الله بهم فيكون علمه بهم هو علم الله بهم. فإثبات النفاق لعبد الله بن سلول وإثبات اعتراض عمر للنبي ثم محاولة تحوير وتزييف القصد من صلاة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بأنه يود تأليف قومه من الأنصار أمور لا تستقيم لوجود الأمر الإلهي ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ...﴾. وبعث عبد الله بن أبي للنبي ليستغفر له ويكفنه بثوبه كفيل بأن يحذو قومه حذوه إن كان المقصود تأليف قومه ولا حاجة لأكثر من ذلك: وهل كان في المدينة آلاف من الأنصار المنافقين وكلهم أتباع عبد الله بن أبي ويريد النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أن يسلم منهم ألف فقط؟ وهذا يعني أن المدينة كانت مليئة بالمنافقين لا بالأصحاب المنتجبين!!!

<sup>212</sup> سورة النساء: 64

<sup>213</sup> سورة البقرة: 272

<sup>214</sup> سورة التوبة: 101

إنّ التباين الموجود في هذه الأحاديث واختلافها يدل على عدم صحتها و تحوير أو تحريف ما فيها من حقيقة. فمنها ما ذكر أنّ عبد الله بن أبي وهو على فراش الموت بعث إلى النبي ومنها ما ذكر أنّ النبي أمر بإخراجه من قبره وكفنه وتفل عليه ثم قام على قبره ومنها ما ذكر أنّ ابنه طلب من النبي أن يعطيه قميصه يكفنه فيه ويصلي عليه. ومنها ما ذكر أنّ الآية نزلت قبل اعتراض عمر على النبي وأنّ عمر استند عليها. ومنها ما ذكر أنّ الآية نزلت بعد اعتراض عمر على النبي والصلاة على ابن سلول ليقولوا أنّ النبي أخفق في أداء رسالته وأصاب عمر وأنّ الله أنزل قرآناً مؤيداً لعمر ويظل هناك أمر واحد متفق عليه في كل هذه الأحاديث وهو أنّ النبي صلى على عبد الله بن سلول، وما زاد على ذلك يبين اعتراض عمر وأنواع البهارات المؤيدة لاعتراض عمر على النبي لإثبات صحته وتخطئة النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وهو أمر لا يعتقد مسلم يؤمن بالله ورسوله.

يقول الطبري: إنّ المنافقين الذين مَنع النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله من الصلاة عليهم هم {الذين تخلفوا عن الخروج معه}. فهل كان عبد الله بن أبي ممن تخلف عن الخروج مع رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟

لننظر ما جاء في كتاب الله:

قال تعالى ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۗ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ \* اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾<sup>215</sup>. فهذه الآيات تتعلق بالذين يلمزون المطوعين في الصدقات وهم المقصودون بأمر الاستغفار. وأما الآيات التي تليها فهي: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۗ لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ \* فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ \* فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۗ إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ \* وَلَا تَصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ ۗ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ \* وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۗ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ \* وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا

مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذُرْنَا نَكُنْ مَعَ الْفَاعِدِينَ<sup>216</sup>. وهذه هي التي تتعلق بالمقصودين في أمر الصلاة من أهل النفاق وهم الذين فرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ولم يخرجوا معه ورضوا بالعودة أول مرة وهؤلاء هم الذين لا يُصلى عليهم والذين أعلم الله نبيه بهم ولا يعلمهم أحد من الأصحاب لا أبوبكر ولا عمر ولا عثمان رضي الله عنهم ولا علي عليه السلام فلم يُعلم رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله بهم أحداً إلا حذيفة رضي الله عنه فليس لعمر رضي الله عنه علم بالمنافقين حتى يعترض على رسول الله بادعائه معرفة أحدهم أكثر منه. بل كان يسأل حذيفة عن هل هو منهم أم لا.

## إنك لا تهدي من أحببت!

قال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>217</sup>

جاء فيما ذكره الطبري:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (إِنَّكَ يَا مُحَمَّد) لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) أَنْ يَهْدِيَهُ مِنْ خَلْقِهِ، بِتَوْفِيقِهِ لِلإِيمَانِ بِهِ وَبِرَسُولِهِ. ولو قيل: معناه: إنك لا تهدي من أحببت لقرابته منك، ولكن الله يهدي من يشاء، كان مذهباً (وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) يقول جل ثناؤه: والله أعلم من سبق له في علمه أنه يهدي للرشاد، ذلك الذي يهديه الله فيسده ويوفقه.

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل امتناع أبي طالب عمه من إجابته، إذ دعاه إلى الإيمان بالله، إلى ما دعاه إليه من ذلك.

ذكر الرواية بذلك:

حدثنا أبو كريب والحسين بن علي الصُدائي، قال ثنا الوليد بن القاسم، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمة عند الموت: "قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" قال: لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينك، فأنزل الله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) ... الآية.

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي عبد الله بن وهب، قال: ثني يونس، عن الزهري قال: ثني سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا عم، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أَشْهَدُ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ" فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب: أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أَمَا وَاللَّهِ لَأَسْتَعْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أَنُحِمْكَ، فأنزل الله

<sup>217</sup> سورة القصص: 56

مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي) ... الآية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن أبي سعيد بن رافع، قال: قلت لابن عمر: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) نزلت في أبي طالب؟ قال: نعم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) قال: قول محمد لأبي طالب: "قُلْ: كَلِمَةَ الْإِخْلَاصِ أَجَادِلْ عَنْكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" قال محمد بن عمرو في حديثه: قال: يا ابن أخي ملة الأشياخ، أو سنة الأشياخ. وقال الحارث في حديثه: قال يا ابن أخي ملة الأشياخ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر: لما حضر أبا طالب الموت، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: "يا عمّاه، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَشْهَدُ لَكَ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فقال له: يا ابن أخي، إنه لولا أن يكون عليك عار لم أبال أن أفعل، فقال له ذلك مراراً. فلما مات اشتد ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: ما تنفع قرابة أبي طالب منك، فقال: "بلى، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ السَّاعَةَ أَفِي ضَخْضَاخٍ مِنَ النَّارِ عَلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ نَارٍ تَغْلِي مِنْهُمَا أُمَّ رَأْسِهِ، وَمَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ مِنْ إِنْسَانٍ هُوَ أَهْوَنُ عَذَابًا مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)".

جاء في محكم التنزيل فيما يخص النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله (...إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ...) 218 والرسول صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ما عليه إلا البلاغ وهو يعلم أنه لم يُرسل إلا بالبلاغ بشيراً ونذيراً ولقد ذكرنا ذلك بأن هذه هي الرسالة الخاتمة. وقوله تعالى لرسوله (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...) وقوله تعالى (لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...) إنما هي تأكيد لما أُرسِلَ به محمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ألا وهو البلاغ لا غير. فالقول بأن هذه الآية (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ...) نزلت في عم رسول الله أبي طالب مجافٍ لمعنى القرآن لأنهم يقولون أنها نزلت بعد وفاته. فإن كان الأمر كذلك فما المقصود منها؟ هل هو التقرير من الله سبحانه لحبيبه ورسوله ليعلم الناس أن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله أخطأ في أداء رسالته؟ وهل في ذلك فائدة للناس بهذا المعنى الذي ذكروه غير الشك في أفعال النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله؟ إنه

المبول في هذه التفاسير ليقولوا أنّ للنبي أفعالاً عبثية أو أفعالاً تُخالف ما جاء به من الرسالة وهكذا يحكمون على ما يقولون إنه وراء النصوص. إنّ القول بأنّ سبب نزول هذه الآية هو أبو طالب يُفهم منه أيضاً تحجير كثير من الآيات على مواضع خلت وأنّ القرآن نزل لتلك الأسباب وتعالى الله أن يكون تنزيله كان متوقفاً على أسباب وقعت كأنه كتاب للتاريخ فقط! أو تعقيباً على أفعال النبي!!

وهذه الآية تتوافق مع آيات الهداية الأخرى المتعددة كقوله تعالى (أَلَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ...). وكما ذكرنا فإنّ الهداية والضلال بيد الله تعالى، وليس لرسول الله عليهم صلوات الله إلا البلاغ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل فالآية هذه لم ينزلها الله سبحانه مقيدة محصورة على أبي طالب وبعد موته لينحصر معناها عند المسلمين على توبيخ الله لرسوله فقط ولا معنى لها غير ذلك!!! فالحقيقة إنما هي لتوضيح الرسالة ليُعلم أنّه ما على الرسول إلا البلاغ.

وما جاء في الأحاديث عن رد أبي طالب على النبي حينما طلب منه قول "لا إله إلا الله" في حديث أبي كريب والحسين {لولا أن تعيرني قريش لأقررت عينك} وفي حديث أبي كريب الآخر {لولا أن تعيرني قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت} وفي حديث أحمد بن عبد الرحمن {هو على ملة عبد المطلب} وفي حديث محمد بن عمرو {ملة الأشياخ}. يلاحظ في هذه الأحاديث أنّ رفض أبا طالب إنما كان بقصد ألا تعيره قريش بالجزع من الموت وهذا بعيد عن المعنى الذي ذهبوا إليه إذ لو كان قول لا إله إلا الله فداء له من الموت أو إطالة في عُمره يمكن أن يقال أنّه رفض ذلك حتى لا يكون جزعاً من الموت وطمعاً في الحياة ولكن الأمر هنا يتعلق بالآخرة فلو قالوا إنّ العلة كانت جزعاً من عذاب الآخرة لاستقام ادعاؤهم.

أما الحديث الذي يقول بأنّ قرابة أبي طالب من النبي لا تنفعه وأنّ النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قال "بلى وأنه الآن في ضحاح من النار عليه نعلين يغلي منهما أم رأسه" لا تصح نسبته للنبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لأنّ النار لا يدخلها الناس إلا يوم القيامة وبعد الحساب هناك. ولا أرى إلا أنهم قصدوا به التقليل من القدر الشريف المحمدي كأنه شخص عادي كعامّة الناس ولا شفاعة له. وأنّه يعمل أعمالاً عبثية لا فائدة منها!!! ورفضهم قوله تعالى (... إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ...).

ثم إنّ الاختلاف في الأحاديث فيما ذكره بين النبي صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله وبين عمه لا يجعل لهذه الأحاديث وجهاً للصحة.



والقول بأنّ أبا طالب كان مكذباً ومعارضاً للنبي لا يقول به أحد فذاك شأن أبي جهل وأمثاله، أما أبو طالب فقد كان مدافعاً عن النبي في كل أحواله ويحول بينه وبين قريش. وكان رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله قد سمى العام الذي مات فيه أبو طالب وخديجة عام الحزن، فهل يحزن النبي على موت غير مؤمن؟

## خاتمة

إنّ اليسير الذي قمت به من مراجعة في هذا المؤلف عمّا يقال إنّه تفسير لكتاب الله جل وعلا هو تبصير لمن أراد أن يذكر. وقد رأيت أنّ هناك من جعل من مفسّر القرآن مرجعية يعتمد منه ما يقول فمرجعيته المفسّر وليس النص القرآني، بينما القرآن لغة عربية لا تحتاج إلى تفسير لعربي. ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وآله بكتاب بلغة عربية بين العرب ثم يحتاج إلى تفسير ليفهم عنه العرب ما جاء فيه وإلا كانت الرسالة التي جاء بها فيها غموض تحتاج إلى غير رسول الله ليفك رموزها للناس. ولم يكن ما جاء به ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ...﴾<sup>219</sup> كما قال تعالى. ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا...﴾<sup>220</sup> فكيف ينذر به إن كان يحتاج إلى تفسير لمن يُنذرون به وهم العرب الذين أنزل بلغتهم؟ وإذا كان التفسير قد وُضِعَ لغير العرب، فإنّه يكون بلغة أولئك الذين لم تكن العربية لغتهم. وأولئك يحتاجون لفهم العربية التي بها يفهمون القرآن. فالقرآن لا يترجم من العربية إلى العربية. فالذي يريد القرآن وفهم القرآن عليه بتعلم العربية ثم بعد ذلك عليه بالتدبر فيه فالقرآن للتدبر كما قال تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾<sup>221</sup> وليس للتفسير إلا إذا كان للغة أخرى غير العربية. أما العرب فقد قال تعالى ﴿كِتَابٌ فَصَّلْتُ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾<sup>222</sup> وليس لقوم لا يعلمون ليُفسر لهم من أناس غير رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولقد جاء في هذه التي تسمى تفاسيراً أموراً لا توجد في النص القرآني فهل أخفى الله ورسوله شيئاً من الرسالة حتى يأتي مفسر ليبيّنه للناس؟ إنّ الذي يذكر كلاماً فيما يقال أنّه تفسير ولا يوجد في النص القرآني ولم يذكره رسول الله فقد افتري على الله ورسوله وادّعى رسالة فوق رسالة محمد صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله وبيّناً أكثر من بيان النبي صلى الله عليه وآله وبارك عليه وآله.

القرآن كلام جامع شامل لكل الناس ولا يمكن تقزيمه على أمور يدعون أنّها كانت سبباً في نزوله فالله سبحانه يقول ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ...﴾<sup>223</sup> والقرآن عصب الرسالة فلا يمكن أن تكون نصوصه إلا مبيّنة للرسالة الخاتمة الشاملة المهيمنة موضحة

219 سورة الزمر: 28

220 سورة الشورى: 7

221 سورة محمد: 24

222 سورة فصلت: 3

223 سورة سبأ: 28

للحق كفلق الصبح بل كوضوح الشمس لكل الناس وضوحاً لا لبس فيه لخلق المجتمع الفاضل وإلا لما قال تعالى ﴿... فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ...﴾<sup>224</sup> ولو لم يكن كذلك لم يصفه الله بأنه ﴿... غَيْرَ ذِي عِوَجٍ...﴾<sup>225</sup> وأنه ﴿... هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾<sup>226</sup> وقد نجد في ما يسمى بالتفسير هذه قصصاً يذكرونها ليقولوا أنها لتفهم النص القرآني أو أن النص القرآني كان سببه تلك الحادثة وهو أمر لا يوجد في النص ولم ينقلوه عن رسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله. فإن من يقرأ هذه التفسيرات تكون مرجعيته هؤلاء المفسرون وما جاءوا به من قصص مختلفة لا علاقة لها بشمول جميل وسع القرآن المبين. ولا نجد في هذه القصص المختلفة إلا الطعن في الكمال المحمدي حتى يمكنهم القول بأن محمداً صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لم يذكرها لتقول بواطنهم إن لم تكن ألسنتهم ﴿... لَسْتَ مُرْسَلًا...﴾ لا تهاجم إياه بعدم ذكر بعض ما أوحى به إليه ليكون عندهم محل العتاب والتأديب والزجر من الله سبحانه الذي اتخذ إبراهيم خليلاً وموسى كليماً وأخذ العهد عليهم للإيمان بمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله ونصرته لأنه اتخذته حبيباً يمدحه بعظيم خلقه وقال فيه ﴿... وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ...﴾ ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾<sup>227</sup> ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾<sup>228</sup> ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَأَسْوَفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾.

إن ما جاء في ما يسمى بالتفسير للقرآن لا يوجد فيه ما يحبب الناس فيمن حُبُّه فرض على كل مسلم ولا يكون الإيمان إلا به؛ حتى الأنبياء عليهم السلام وجب عليهم الإيمان بمحمد صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله لقوله تعالى ﴿... لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ...﴾<sup>229</sup> بل يوجد في هذه التفسيرات قصص يقولون إنها لتفسير النصوص وليس فيها إلا الطعن في الذات الشريفة المحمدية... هذا ما وجدت في هذه التفسيرات وليس هذا حصراً لكل ما جاء فيها ولكني أقف الآن عند هذا القدر وهو تبصير لمن يقف عليه لينظر ما قال أهل ما يسمى بالتفسير. ونسأله تعالى حسن الخاتمة والحمد لله سبحانه والشكر لرسول الله صلى الله وبارك عليه ووالديه وآله.

224 سورة الكهف: 29

225 سورة الزمر: 28

226 سورة البقرة: 2

227 سورة النجم: 3

228 سورة النجم: 2

229 سورة آل عمران: 81